منهج
أم المؤمنين عائشة
في علوم الشريعة



منهجُ أمِّ المؤمنين عائشة
في علومِ الشريعة

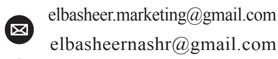
الطبعة الأولى
1440 هـ
2018 م

اسم الكتاب: منهجُ أمّ المؤمنين عائشة في علومِ الشريعة
التأليف: أ. د. مسعود صبري
أستاذ مشارك الفقه وأصوله
موضوع الكتاب: فكر إسلامي
عدد الصفحات: 136 صفحة
عدد الملازم: 8.5 ملازم
مقاس الكتاب: 14x20
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 2018/17132
الترقيم الدولي: 4 - 707 - 278 - 977 - 978









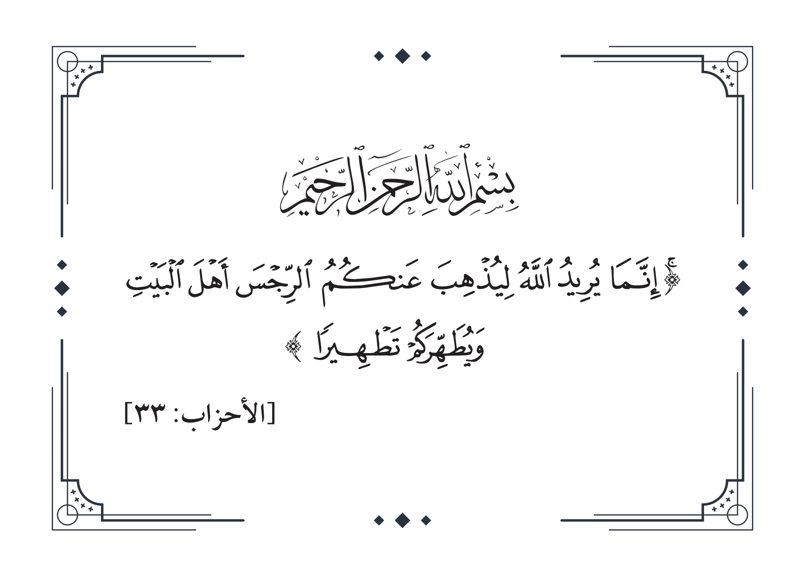

elbasheer.marketing@gmail.com
elbasheernashr@gmail.com
01152806533 - 01012355714

منهجُ أمِّ المؤمنين عائشة
في علومِ الشريعة

أ. د. مسعود صبري

أستاذ مشارك الفقه وأصوله





بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾

[الأحزاب: ٣٣]

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾(١)

وأشهد أنْ لا إله إلّا الله لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فقد كرّم الله العلم والعلماء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(٢) والرجال والنساء في هذا على حدّ سواء. وقد يظنّ البعض أنّ نصيبَ المرأة في العلم الشرعي قليل، ويؤيّد هذا أنّ التاريخ الإسلامي لم ينقل عن المرأة إلّا أخبارًا قليلة، متناثرة في بطون الكتب.

وقد أرشدنا أستاذنا الدكتور محمد البلتاجي- رحمه الله- إلى أنّ نصيب المرأة في العلم الشرعي نصيبٌ ملحوظ، وأنّ هناك نساء برزنَ في هذا المجال، فحزْنَ السبقَ فيه، فطلب منّا كشف اللثام عن بعض ذلك.

---

(١) سورة الكهف، الآية ١.

(٢) سورة فاطر، الآية ٢٨.

وقد أخذت أقرأ في تراجم النساء فوجدت عددًا كبيرًا من النساء عرف عنهنّ إسهامهنّ في العلم الشرعي من الحديث والتفسير والفقه.

وقد راعى انتباهي أنّ السيد عائشة- رضي الله عنها- جمعت هذه العلوم كلّها، وقلَّ أن نجدَ امرأة تجمع هذه العلوم، وما تمتّعت به السيدة عائشة- رضي الله عنها- من عقليةٍ ندر أن نجد في النساء مثلها، وإن لم نعدمها.

وكان اختياري للسيدة عائشة موضوعًا للبحث لما يلي:

١- أنّ غالب ما كتب عن السيدة عائشة يمثّل اتجاه دراسة المفردات والمسائل الجزئية، لا بيان المنهج وطريقة الاجتهاد والتعامل مع النصوص.

٢- تمثّل عائشة، رضي الله عنها، صورة مثالية للمرأة في صدر الإسلام.

٣- محاولة كشف اللثام عن منهجها في الحديث والتفسير والفقه والأصول.

وقد جاء البحثُ في مقدّمة وفصلين؛ أمّا المقدمة ففيها بيان سبب الاختيار وأهمّيته والدافع من الكتابة فيه، وذكر منهجية البحث، ثمّ الفصل الأول، واشتمل على ثلاثةِ مباحث:

المبحثُ الأوّل: الحديثُ عن شخصية السيدة عائشة- رضي الله عنها- وقد توخّيت فيه الاختصار لكثرةِ ما كتب فيه، غير أنّي حاولت الغوصَ في أعماق هذه الشخصية محاولًا تحليل ما أنقله عن غيري، وبخاصة عن الحديث عن أخلاقها.

المبحثُ الثّاني: تحدّثت فيه عن علم عائشة- رضي الله عنها-.

المبحثُ الثّالث: وفيه كان الحديث عن إسهامها في العلم، كحفظها لكثيرٍ منه، ونشرها له، وتنبيهها للصّحابة بعض ما خفي عليهم من أحكام أو أحاديث.

أمّا الفصلُ الثّاني، فقد جاء في أربعةِ مباحث:

المبحثُ الأوّل: تحدّثت فيه عن منهجها في التفسير.

المبحثُ الثّاني: تحدّثت فيه عن منهجها في الحديث.

المبحثُ الثّالث: تحدّثت فيه عن منهجها في الفقه.

المبحثُ الرّابع: تحدّثت فيه عن منهجها في أصول الفقه.

ثمّ كانت نتائج البحث.

وأظنّ أنّ هذا البحث يحمل بين طياته محاولةً جادة، وهو الكشف عن منهج عائشة- رضي الله عنها- في التفسير والحديث والفقه والأصول، ممّا يدلّل بحقّ على مكانة عائشة- رضي الله عنها- العلمية، وما كتب من سماتٍ منهجية جاءت عصارة ذهن، مع ما استفدته من بعض خبرات أساتذتنا فيما كتبوه.. كما هو الشأن عن الحديث عن منهج عائشة الفقهي.

وقد راعيتُ في هذا البحث بعضَ الأمور:

١- محاولة توثيق المعلومة والرجوع، غالبًا، إلى أكثر من مصدر.

٢- كنت أعرضُ للمعلومة، وللسمة المنهجية والتعليق، محاولًا إبراز ما أهدف إليه.

٣- ختم كلّ مبحثٍ بخلاصة توضح ما يهدف إليه المبحث.

٤- الحيدة التامّة، وعدم التعصّب لكلّ ما ذهبتْ إليه عائشة، وبيّنت أنّ ما ذهبت إليه كان اجتهادًا منها، قابلًا للخطأ والصواب.

٥- محاولة تحديدِ بعض المصطلحات بدقّة، كرفضي لما أطلق عليه العلماء استدراك عائشة، رضي الله عنها، على الصحابة، وقد أسميته «مخالفة عائشة- رضي الله عنها- للصحابة»، وذلك أنني أظنّ أنّ كلّ مخالفة لا تعدّ استدراكًا؛ لأنّ في إطلاق لفظ استدراك، حكمًا بصواب رأي المخالفة وهذا أمرٌ غير مسلّم به.

هذا وإن يكن ما كتبت صوابًا، فمِن الله وحده، وله الحمد على ذلك، وإن يكن خطأ فمنّي ومن الشيطان، وأستغفر الله.

مسعود صبري

الجيزة في مايـو سنة ١٩٩٦م

المحرم سنة ١٤١٧هـ

المبحثُ الأوّل: شخصيةُ السيدة عائشة:

ويشتمل على:

- **المولد.**
- **البيئة.**
- **اختيار اللّه لها زوجًا للنبي ﷺ.**
- **حفل زفافها.**
- **أخلاقها.**
- **فضائلها.**
- **وفاة الرسول ﷺ في بيتها.**
- **وفاتها.**

نسبُها:

هي عائشة، بنت خليفة رسول الله أبي بكر، عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي؛ القرشية التيمية، أمّ المؤمنين، زوج النبي ﷺ الصّدّيقة المبرّأة من فوق سبع سموات[1].

(١) تذكرة الحفاظ، للذهبي، ح ١/ ٢٥- ٣٠، انظر: ترجمتها في مسند الإمام أحمد، ح ٦/ ٢٩. فتح الباري، لابن حجر، ح ٧/ ١٣٠- ١٣٥. الطبقات، لابن سعد، ٨/ ٥٨- ٨١، المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، ح٤/ ١٤، حلية الأولياء، لأبي نعيم، ح٢- ٤٢ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، ٤/ ١٨٨١، أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، ح٧/ ١٨٨، تاريخ الإسلام، للذهبي، ٢/ ٢٩٤، البداية، ٣٣٣- ٤٣٦، الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ح١٣/ ٣٨، كنز العمال، للهندي، ح ١٣/ ٦٩٣، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، ح١/ ٦١- ٦٣، تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، للمزي، ح١١، سير أعلام النبلاء، للذهبي «محمد بن أحمد بن عثمان، ح١٣٥- ٢٧١، نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب، دكتور إبراهيم حسن، ص ٣١- ٣٥، تراجم سيدات بيت النبوة، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ص ٢٤٧- ٢٩٦، أعلام النساء في عالم الغرب والإسلام، لعمر رضا كخاله، ٩- ١٣١، نساء فاضلات، لعبد البديع صقر، من ١٦، ٣٠، وغير ذلك من الكتب الكثيرة.

أمّها أمّ رومان بنت عامر عويمر، بنت شمس بن عتاب بن أذينة الكنانية، تلك المرأة التي قال فيها النبي ﷺ: «مَن سرّه أن ينظر إلى امرأة من الحور العين؛ فلينظر إلى أمّ رومان»[1].

مولدُها:

ولدت أمّ المؤمنين عائشة سنة أربعٍ من البعثة، وكان أبوها على ملّة الإسلام. وهي أصغرُ من فاطمة بثماني سنوات، وكانت تقول: «لم أعقلْ أبويّ إلّا وهما يدينان الدين»[2].

البيئة:

نشأت عائشة- رضي الله عنها- في بيئةٍ طيبة، فأبواها مسلمان وكذلك إخوتها.

فعنْ عروة بن الزبير أنّ عائشة زوج النبي ﷺ. قالت: «لم أعقلْ أبواي إلّا وهما يدينان الدّين، ولم يمرّ علينا يوم إلّا يأتينا فيه رسولُ الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية»[3].

(١) طبقات ابن سعد، ح ٨/ ٥٩.
قال السيوطي: حيث ضعيف رواه ابن سعد عن سفيان بن عقبة مرسلًا الجامع الصغير، للسيوطي، ص ٣٠٧- دار القلم بيروت.

(٢) سير وأعلام النبلاء، ح ٢/ ١٣٩.

(٣) فتح الباري، ح ٨/ ٢٣٥.

اختيارُ الله لها زوجًا لرسوله ﷺ:

فممّا تجدر الإشارة إليه أنّ زواج الرسول ﷺ من السيدة عائشة- رضي الله عنها- كان ببشارةٍ من الله وتعالى، ورؤيا كان يراها رسول الله ﷺ في المنام.

فعنْ عائشة قالت: «قال رسول الله ﷺ رأيتُك في المنام مرّتين أو ثلاث ليالي، ويجيء بك المَلَك في سرقة من حرير، فقال لي: هذه امرأتك فكشفتُ عن وجهك الثوب، فإذا أنت هي، فقلت: إن يكُ هذا من عند الله يُمضه»[1].

حفلُ زفافها:

عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: تزوّجني النبي ﷺ وأنا بنتُ ستّ سنين، فقدمنا المدينة، فنزلنا في بني الحارث بن خزرج، فوعكت فتمزّق شعري فوفى جميمة، فأتتْني أمّي أمّ رومان، وإني لفي **أرجوحة، ومعي** صواحب لي، فصرختْ بي فأتيتها، لا أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدّار، وإني لأنهجُ حتى سكن بعضُ نفَسي، ثمّ أخذت شيئًا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثمّ أدخلتني الدار، فإذا نسوةٌ من الأنصار في البيت، فقلن: على الخيرِ والبركة، وعلى خيرِ طائر، فأسلمتني

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي، عليه الصلاة والسلام، ح ٨/ ٢٢٥، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة، ح٧/ ١٣٧.

إليهنّ، فأصلحنَ من شأني، فلم يرعني إلّا رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمتني إليه، وأنا يومئذٍ بنت تسع سنين[١].

أخلاقُها:

تمتّعت السيدة عائشة- رضي الله عنها- بأخلاقٍ حميدة، فقد اجتمع لها من الدّواعي ما يجعلها في رتبةٍ عالية من الأخلاق، فقد نشأت في بيت إيمان، مع ما عُرف عن أبويها من خلقٍ رفيع.

يُضاف إلى ذلك، ما حباها الله- عزّ وجل- مِن عقلٍ راجح، وعيشها في بيت زوجها ﷺ الذي جعل غايةَ رسالة الإسلام إتمامَ مكارم الأخلاق.

كلّ هذه العوامل وغيرُها مُجتمعة؛ جعلت عائشة- رضي الله عنها- صاحبة خلقٍ كريم، وسيرةٍ محمودة.

ومن أهمّ هذه الصفات، ما يلي:

الزّهد:

عرفت السيدةُ عائشة- رضي الله عنها- بزهدها، فما كانت ترغبُ في الدنيا، كيف لا، وهي قد ارتضتْ أنّ تعيش مع الرسول ﷺ وهو الذي كان لا يوقَد في بيته نارٌ أيامًا معدودة، وكفى بها أنْ تنال محبّة الرسول ﷺ.

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب تزويج الرسول ﷺ عائشة وقدومها المدينة وبنائها بها.. ح ٨/ ٢٢٤، مسلم في كتاب النكاح، باب تزويج الأب للبكر، ح٤/ ١٤١.

وهذا نموذجٌ من زهدها:

يروي عبد الواحد بن أيمن قال: حدّثني أبي قال: دخلتُ على عائشة- رضي الله عنها-، وعليها درع قطنٍ ثمن خمس دراهم، فقالت: ارفع بصرك إلى جاريتي، انظرْ إليها، فإنها تزهي أن تلبسه في البيت، وقد كان لي منهنّ درع على عهد رسول الله ﷺ فما كانت امرأة تقيّن (تزين) بالمدينة إلّا أرسلت إليّ تستعيره[1].

الورع:

اشتهرتْ عائشة- رضي الله عنها- بوَرَعها، فكانت لا تحبّ أن تزكي نفسها، ولذا فقد أوصتْ بدفنها مع أزواج النبي ﷺ خشية أن تزكّي نفسَها، فقد روي عنها أنّها قالت لعبد الله بن الزبير: ادفني مع صواحبي، ولا تدفني مع النبي ﷺ في البيت، فإنّي أكره أن أزكي»[2].

ومِن ورعها أنّه لما دخل عليها ابن عباس في مرض الموت، فأثنى عليها، قالت: «دخل ابن عباس، فأثنى عليّ، وودت أني كنت نسيًا منسيًّا»[3].

(١) صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الاستعارة للعروس عند البناء، ح ٦/ ١٦٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما ذكر النبي ﷺ وحضّ على اتفاق أهل العلم...

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب «ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا».

الإيثار:

وقد عُرف عنها إيثار غيرها على نفسها، ولذا كانت إذا هدي إليها بعضُ الأموال، ما كانت تبقي لنفسها شيئًا، بل توزّع ما يهدى إليها.

وتبلغ درجةُ الإيثار مداها، حينما تؤثر عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- على نفسها، حين تأذن له أن يُدفَن مع النبي ﷺ وأبي بكر- رضي الله عنه-، مع ما كان منها من حرصٍ شديد على هذا الأمر، في بداية حياتها، قبل أن تغيّر رأيها، وفي ذلك يروي عمرو بن ميمون الأودي، قال: رأيت عمرَ بن الخطاب- رضي الله عنه- قال: يا عبد الله بن عمر، اذهبْ إلى أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- فقل: يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام، ثمّ سلْها أن أدفَنَ مع صاحبي. قالت: كنت أريدُ لنفسي، فلأوثرنّه اليوم على نفسي. فلمّا أقبل قال له: ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أميرَ المؤمنين. قال: ما كان شيء أهمّ إلي مِن ذلك المضجع، فإذا قبضتُ فاحملوني ثمّ سلّموا، ثمّ قل: يستأذن عمر بن الخطاب فإنْ أذنت لي؛ فادفنوني، وإلّا فردّوني إلى مقابر المسلمين»[1].

لقد كانت عائشة- رضي الله عنها- لا تطيق فراقَ النبي ﷺ حيًّا، ولولا أنّ الموت مقدّر على بني البشر؛ ما طاقت فراقَه ﷺ بعد موته، ولعلّ ممّا يسرّي عنها أنها ستدفن معه، وتحرص على ذلك أشدّ الحرص، ولكنّ هذا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي، صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

شيء لنفسها، فإذا طلبه آخرُ كعمر بن الخطاب، يتجلّى الإيثار بأوضح صوره وأجلّها، ولتحرم نفسها ممّا كانت تتمنّاه وتحرص عليه. ولعلّ ممّا يخفّف عنها، بشارتها أنّه ﷺ زوجه في الدنيا والآخرة.

ذكرُ الفضلِ لأهله:

كانت عائشة- رضي الله عنها- ممّن يَعرف الفضلَ لأهله، حتى وإن كان صاحب الفضل يسعى لتقليل شأنها، ولا عجبَ في أنْ يذكر الرجلُ الفضل لأهله، ما دام بينهما من الودّ والحبّ والوفاء ما يدفعه لذلك، غير أنّ ذكر الفضل لأهله، مع ما بين القائل والممدوح بعضُ الشوائب التي تكدّر الصفو، وإن كانت قليلة، إنّ مَن يصنع ذلك يتخطّى وساوس النفس ونزعاتها، ومِن هذا النوع كانت عائشة- رضي الله عنها-، فهذه زينب بنت جحش تأتي إلى الرسول ﷺ، لتشكو إليه ما يصيبُ أزواجه- وهي منهنّ- من الضّيق تجاه الحبّ الزائد لعائشة، بل تتطاولُ زينب على عائشة، وعندما تحكي عائشة- رضي الله عنها- هذا الموقفَ تقول: «... فأرسل أزواجُ النبي ﷺ زينب بنت جحش، زوج النبي ﷺ، وهي التي كانت تساميني منهنّ في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أرَ امرأةً قطّ خيرًا في الدين من زينب، وأتْقى لله وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشدّ ابتذالًا لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله، ما عدا سورة من حدّة فيها...»[1].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة، رضي الله عنها....

شجاعتها:

إنّ امرأةً لا تبلغ من العمر إحدى عشرةَ سنة، ويجد المرءُ منها مواقفَ تدلّ على شجاعتها، لهُوَ جديرٌ بأن تقدر في نفس كلّ شخص، فقد عُرفت السيدة عائشة– رضي الله عنها– بشجاعتها، وهي لم تزل صغيرةَ السنّ، فقد كانت من النساء اللائي خرجنَ في غزوة أحد تجاهد في سبيل الله، غير خائفة على نفسها، وكان لها ألّا تخرج وهي ما زالت صغيرة حتى تحافظ على نفسها، لكنّها زوج النبي ﷺ، آمنتْ برسالته، وحملت لواءَ دعوته، لتجعلها خفّاقة بما أوتيت من جهدٍ تبذله.

إنّ عائشة العالمة، لا تقلّ عنها عائشة المجاهدة، فعنْ أنس– رضي الله عنه– قال: لمّا كان يوم أحد، انهزم الناسُ عن النبي ﷺ.. ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر، وأمّ سليم، وإنّهما **لمشمّرتان**، أرى خدم سوقهما، تنقزان القرب. وقال غيره: تنقلان القِرَب على متونهما، ثمّ تفرغانه في أفواه القوم، ثمّ ترجعان فتملآنها، ثمّ تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم..[1].

وتجيء غزوةُ الخندق لتكمل عائشةُ مسيرة الجهاد، فقد ورد عنها أنّها قالت: «خرجتُ يوم الخندق أقفو آثارَ الناس، قالت: فسمعت وئيدَ الأرض..

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال، واللفظ له، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب غزو النساء مع الرجال.

فقمت، فاقتحمتُ حديقة، فإذا فيها نيف من المسلمين، وإذا فيهم عمر بن الخطاب، وفيهم رجلٌ عليه سبغة له- يعني مغفرًا، فقال عمر: ما جاء بك؟ لعمري والله إنك لجريئة، وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوز..[1].

إنّ عائشة- رضي الله عنها- تتجوّل في أرض الاستعداد، دون خوف أو مَهابة، حتى يقول لها عمر بن الخطاب: (إنّك لجريئة)، فذلك دليل على شجاعتها، وأنّها تمنّت أن لو تستشهد في سبيل الله، ولتعطي نموذجًا للمرأة المثالية، التي تقف رابطة جأشَها في سبيل دينها.

الصّدق:

لا يشكّ عاقلٌ في صدق عائشة- رضي الله عنها- فهي لا تعرف الكذب، فكانت تتحرّى الصدق في كلّ شيء، بل كانت تنقل الحديث بكلّ دقّة ولو على نفسها، إذْ أنّ ذلك من شِيَم الصالحين، وما نقلته لنا من أحاديث رسول الله ﷺ لخيرُ دليلٍ على ذلك.

الطّموح:

عُرفت عائشة- رضي الله عنها- بالطّموح، فقد كانت تنظرُ دومًا إلى معالي الأمور، كيف لا؟!، والرسول ﷺ دعا الناس إلى هذا، بل إنّ المرءَ

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، ح١/ ٦٧.

ليلحظ ذلك في سيرته ﷺ ، وإنّ دينًا يبغي أن يدخل قلوب العالمين لجديرٌ أن يتّصف بهذه الصفة أهلُه.

ولعلّ من الدلائل على طموحها، خروجَها مجاهدةً في غزة أحد، تقف مع المسلمين لتساندهم، ولتكن معهم لرفع راية هذا الدين.

ومِن طموحها، ما روي عنها، قالت: يا رسول الله، ترى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لكنّ أفضل الجهاد حجٌّ مبرور»(١).

لقد تحلّت أمّ المؤمنين عائشة بصفاتٍ حميدة، تتناسب ومنزلتها، كأمٍّ من أمّهات المؤمنين، وكزوجٍ لنبي الله، وكعالمةٍ تحمل الدين وتنشره لأهله.

فضائلُ عائشة:

وهبَ الله- عزّ وجل- عائشةَ، رضي الله عنها، فضائلَ كثير، وهي على الإجمال مذكورةٌ فيما أخرج الحاكم، وصحّحه، عن عائشة، قالت: «خلال لي تسعٌ، لم تكن لأحدٍ إلّا ما آتى اللهُ مريم، والله ما أقول هذا أفخر على أحدٍ من صواحباتي».

قيل: «وما هنّ»؟

قالت: «جاء الملَكُ بصورتي إلى رسول الله، ﷺ، فتزوّجني وأنا ابنة سبع سنين.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد والسير.

وأهْديت إليه وأنا بنتُ تسع.

وتزوّجني بكرًا.

وكان يأتيه الوحي، وأنا وهو في لحافٍ واحد.

وكنت مِن أحبّ الناس إليه.

ونزل فيَّ آياتٌ من القرآن، كادتِ الأمّة تهلك فيها.

ورأيت جبريل ولم يره أحدٌ من نسائه غيري.

وقُبِض في بيتي، لم يله أحدٌ غير الملك إلّا أنا».

وهي بالتفصيل كما يلي:

١- بشارةُ جبريل النبيَّ ﷺ، بزواجها:

وإنّها لفضيلةٌ تحسَب لعائشة- رضي الله عنها-، إذ ينزل جبريل عليه السلام على الرسول ﷺ ليخبره بزواجه بعائشة.

فعنْ هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «أريتك مرّتين فأكشف عن وجْهك، فإذا أنت فيه، فأقول: إنْ يكُ هذا من عند الله يُمْضه»[1].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ في المنام، وباب ثياب الحرير في المنام، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة، وأخرجه أحمد في المسند، ح٦/ ٤١.

٢- زوجُ النبي ﷺ في الدنيا والآخرة:

وهذا الأمرُ من فضل عائشة، رضي الله عنها، إذْ هي زوجته في الدنيا والآخرة، فعن ابن أبي مليكة عن عائشة: أنّ جبريل جاء بصورتها في خرقة حريرٍ خضراء إلى النبي، ﷺ، فقال: «هذه زوجتُك في الدنيا والآخرة»[1].

٣- زواجُ النبي ﷺ منها بكرًا:

ولم يتزوّج امرأةً بكرًا غيرها، فقد روي عنها قالت: قلتُ: يا رسول الله، مَن مِن أزواجك في الجنة؟ قال: أمَا إنّك منهنّ. قالت: فخيّل إليَّ أنّ ذاك لأنه لم يتزوّج بكرًا غيري»[2].

٤- قبض الرسول ﷺ في حجرها.

٥- قبر الرسول ﷺ في بيتها.

٦- ما نزل الوحي على النبي ﷺ وهو في لحاف امرأته غيرها.

٧- نزول براءتها من فوق سبع سموات، كما هو في حادث الإفك:

---

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل عائشة، رضي الله عنها. وقال الترمذي: حديث حسن، لا نعرفه إلّا من حديث عبد الله، ورواه عبد الرحمن بن مهدي عنه مرسلًا.

(٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، ح ٤/ ١٣ وصححه، ووافقه الذهبي في التلخيص عليه.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

٨- وعدُ الله لها مغفرةً ورزقًا كريمًا:

فعنها أنّها جاءت هي وأبواها، فقال: إنا نحبّ أنْ تدعو لعائشة بدعوة، ونحن نسمع، فقال رسول الله ﷺ: «اللّهم اغفر لعائشة بنت أبي بكر الصديق مغفرةً ظاهرةً وباطنة»[2].

(١) النور: ١١-٢٠

(٢) المستدرك على الصحيحين، ح٤/ ١١.

٩- حبّ الرسول، ﷺ، لها أكثرَ من غيرها من النساء: ولذا لمّا علم المسلمون بذلك، كانوا إذا أرادوا أنْ يهدوا إلى رسول الله- ﷺ- انتظروا حتى يكون يوم عائشة، فاشتكى لذلك أزواجه.

فعنْ عائشة رضي الله عنها: أنّ نساء رسول الله ﷺ كنّ حزبَيْن: فحزبٌ فيه عائشة وحفصة وسودة، والحزب الآخر أمّ سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ، وكان المسلمون قد علموا حبّ رسول الله ﷺ عائشة، فإذا كانت عند أحدِهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخّرها، حتى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة؛ بعث صاحبُ الهدية إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة، فكلّم حزب أمّ سلمة، فقلنَ لها: كلّمي رسول الله ﷺ يكلّم الناس، فيقول: مَن أراد أن **يهدي رسول الله** ﷺ هدية؛ فليهدها إليه حيث كان مِن بيوت نسائه، فكلّمته أمّ سلمة بما قلن، فلم يقلْ لها شيئًا، فسألْنَها، فقالت: ما قال لي شيئًا، فقلنَ لها: فكلّميه، قالت: فكلّمته حين دار إليها أيضًا فلم يقلْ لها شيئًا، فسألنها فقالت: ما قال لي شيئًا، فقلن لها: كلّميه حتى يكلّمك، فدار إليها فكلّمته، فقال لها: (لا تؤذيني في عائشة، فإنّ الوحي لم يأتني وأنا في ثوبِ امرأةٍ إلّا عائشة). قالت: فقالت: أتوبُ إلى الله مِن أذاك يا رسول الله. ثمّ إنهن دعونَ فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تقول: إنّ نساءك ينشدْنَك الله العدلَ في بنت أبي بكر. فكلّمته فقال: (يا بنية

ألَا تحبّين ما أحبّ؟). قالت: بلى، فرجعت إليهنّ فأخبرتهن، فقلنَ: ارجعي إليه فأبتْ أن ترجع، فأرسلنَ زينب بنت جحش، فأتته فأغلظت، وقالت: إنّ نساءك ينشدنك الله العدلَ في بنت ابن أبي قحافة، فرفعت صوتَها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة فسَبّتها، حتى إنّ رسول الله ﷺ لينظر إلى عائشة هل تكلّم، قال: فتكلّمت عائشة تردّ على زينب حتى أسكتَتْها، قالت: فنظر النبي ﷺ إلى عائشة، وقال: (إنها بنتُ أبي بكر)[1].

بل إنّ الرسول ﷺ صرّح بذلك، فعن عمرو بن العاص، أنّ رسول الله ﷺ استعملَه على جيش ذات السلاسل. قال: فأتيته، فقلت: يا رسول الله، أيّ الناس أحبّ إليك؟ قال عائشة. قال: مِن الرجال؟ قال أبوها[2].

١٠- تفضيلُها على كثيرٍ من النساء:

فعنْ أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلُ عائشة على النساء، كفضل الثريدِ على سائر الطعام»[3].

---

(١) والحديث في صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مَن أهدى إلى صاحبه، وتحرّى بعض نسائه دون بعض.

(٢) أخرجه الترمذي، حديث رقم (٣٨٨٥)، وقال: حديث حسن صحيح، وله شاهد في البخاري، كتاب المغازي وكتاب الفضائل، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب فضل عائشة، وفي كتاب الأطعمة باب الثريد، وباب ذكر الطعام، وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة، والترمذي حديث رقم (٣٨٨٧).

وعن أبي موسى عنِ النبي ﷺ قال: كمُلَ مِن الرجال كثير، ولم يكملْ مِن النساء إلّا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضلُ عائشة على النساء كفضلِ الثريد على سائر الطعام [١].

١١- سلامُ جبريل- عليه السلام- عليها:

فعنْ أبي سلمة أنّ عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، هذا جبريلُ يقرأ عليك السلام. قالت: وعليه السلام ورحمة الله، تَرى ما لا نرى. تريد رسول الله» [٢].

١٢- نزولُ آية التيمم بسببها:

عن عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت:

خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنّا بالبيداء، أو بذات الجيش، انقطعَ عقدٌ لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناسُ معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأتى الناس أبا بكر، فقالوا: ألَا ترى ما صنعت عائشة، أقامت برسول الله ﷺ وبالناس معه، وليسوا على ماء،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، النبي ﷺ باب فضل عائشة، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب تسليم الرجال على النساء..، وكتاب بدء الخلق، وكتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، وأبو داود (٥٢٣٢) والترمذي (٣٨٧٦).

وليس معهم ماء؟ فجاء أبو بكر ورسولُ الله ﷺ واضعٌ رأسَه على فخذي قد نام، فقال: حبستِ رسولَ الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء؟! قالت: فعاتبني، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنُني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرّك إلّا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله **آيةَ التيمم** فتيمّموا، فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأوّل بركتكم يا آلَ أبي بكر، فقالت: عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فوجدنا العقد تحته[١].

١٣ اختيارُها اللهَ ورسوله ﷺ فورًا:

وهذا دليلُ فطنتها وإيمانها، وذلك في حادث تخيير نساءِ النبي ﷺ. عن عروة، عن عائشة، قالت: لمّا نزلت: ﴿وإن كنتنّ تردن اللَّه ورسوله﴾. دخل عليّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقال: «يا عائشة، إني ذاكرٌ لك أمرًا، فلا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك. قالت: قد علم، واللَّه، أنّ أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه. قالت: فقرأ عليّ: يا أيها النبي قل لأزواجك إنْ كنتنّ تردن الحياة وزينتها... الآيات. فقلت: في هذا أستأمرُ أبويّ! قد **اخترتُ اللَّه ورسوله**)[٢].

(١) انظر: اللؤلؤ والمرجان، كتاب الحيض، باب التيمم، ح١/ ٧٥.

(٢) ابن ماجة، وأحمد.

هذه بعضُ فضائل عائشة، وهي تربو على الخمسين فضيلة، وإنّما اقتصرت على ما ذُكر من باب الاستشهاد فحسب.

عائشةُ ووفاةُ النبي ﷺ:

يحكي لنا ابن إسحاق وفاةَ الرسول ﷺ في بنت عائشة، فيروي بسنده عن عائشة، قالت: «رجع رسولُ الله ﷺ من البقيع فوجدني، وأنا أجدُ صداعًا في رأسي وأنا أقول: وا رأساه! فقال: بل أنا والله يا عائشة، وا رأساه!

ثمّ قال: وما ضرّك لو متّ قبلي، فقمت عليك، وكفّنتك، وصليت عليك، ودفنتك»، فردّت:

ليكن ذلك حظّ غيري، والله لكأنّي بك لو قد فعلت ذلك، لقد رجعتَ إلى بيتي، فأعرستَ فيه ببعضِ نسائك! فتبسّم رسول الله ﷺ، وتنام به وجعُه، وهو يدورُ على نسائه حتى استقرّ به وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه، فاستأذنهنّ في أن يمرّض في بيتي، فأذنّ له"[1].

وقد كان رسولُ الله ﷺ يحبّ أن يكون موته في يوم عائشة، فعنْها «أنّ رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه، يقول: أين أنا غدًا؟ أين أنا غدًا؟ يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه أنْ يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة، حتى مات عندها»[2].

---

(١) السيرة النبوية، لابن إسحاق، ج٤/ ٢٩٢.

(٢) انظر: اللؤلؤ والمرجان، كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم (١٥٨٣).

وانتقل النبي ﷺ إلى بيت عائشة، وجاء بلال ليؤذنه بالصّلاة، وقد ثقل، فقال: «مُروا أبا بكرٍ أن يصلي بالناس، فقالت عائشة: يا رسول الله، إنّ أبا بكر أسيف، وإنه متى ما يقيم مقامَك لا يسمع الناس، فلو أمرتَ عمر؟ فقال ﷺ: مُروا أبا بكر أنْ يصلي بالناس»[1].

وتروي لنا عائشة كيف قبضَ النبي ﷺ : «وقد قبض رسولُ الله بين نحري ونخري.. فمِن سفهي وحداثة سنّي أنّه ﷺ قبض وهو في حجري، ثمّ وضعت رأسَه على وسادة، وقمت ألتدم مع النساء»[2].

وفاتُها:

عاشت عائشة- رضي الله عنها- بعد الرسول ﷺ سبعًا وأربعين سنة، وحدث فيها ما حدث من أمور، كانت مجتهدةً فيها مأجورة.

وقد توفّيت- رضي الله عنها- وهي في السادسة والستين من عمرها، وكانت الوفاةُ على الأرجح سنة سبع وخمسين من الهجرة، وصلّى عليها أبو هريرة- رضي الله عنها- وقد أوصت أن تُدفَن ليلًا، وشيّعت جنازتها في غسق الليل إلى البقيع، بعد ما تركت أعمقَ الأثر في الحياة الفقهية والاجتماعية والسياسية للمسلمين[3].

---

(١) المصدر السابق، كتاب الصلاة، حيث رقم ٢٣٩.

(٢) انظر: السيرة النبوية، لابن إسحاق، ح٤/ ٣٠٥، وتاريخ الطبري ح ٣/ ١٦٧.، ورواه أحمد في المسند.

(٣) انظر: تهذيب التهذيب، ح١٢/ ٤٣٢، وطبقات ابن سعد، الاستيعاب والإصابة، لابن حجر.

المبحثُ الثّاني: علمُ عائشة الشرعي

ويشمل:

- **الفقه.**

- **الحديث.**

- **التفسير.**

- **علوم أخرى.**

عواملُ النّشأة العلمية لعائشة، رضي الله عنها:

هناك عدّة عوامل كان لها أثرٌ بالغ في نشأة السيدة عائشة- رضي الله عنها- العلمية، ومن أهمّ تلك العوامل:

العاملُ الأوّل: النشأةُ في بيتِ أبيها أبي بكر:

كان لنشأة أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- أثرٌ بالغ في تكوين شخصيتها العلمية، فنشأتها في بيتٍ من بيوتات الإسلام، إذ كان أبوها صاحبَ رسول الله ﷺ وملازمه. ولا شكّ أنّ أبا بكر- رضي الله عنه- كان ينقل لأهلِ بيته ما أخذَ على الرسول ﷺ من علم.

العاملُ الثّاني: زواجُها من النبي ﷺ:

وهو العاملُ الرئيس في التكوين العلمي للسيدة عائشة، فزواجها من الرسول ﷺ وعيشُها معه، وروايتها للحديث بكثْرة، مع ما تمتّعت به من عقليةٍ فذّة، كلّ هذه كانت عواملَ لتكوين الشخصية العلمية لدى أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها.

العاملُ الثّالث: الاستعدادُ الشّخصي والصفات الشخصية:

فقد تمتّعت السيدة عائشة- رضي الله عنها- بجملةٍ من الصفات التي يجب أنْ تتوافر فيمَن يطلب العلم؛ كالحرص على العلم، وكثرة السؤال،

وقوة الحفظ، والفطنة والذكاء، والجد والمثابرة، وغيرها من الصفات الحميدة للمتعلم.

علومُ عائشة رضي الله عنها:

ولم يقتصرْ علمُ عائشة على علمٍ بعينه، بل ألّمت بعلوم كثيرة، أهمّها:

١ – الفقه:

فقد عُرفت عن عائشة– رضي الله عنها– أنّها كانت فقيهة، بل كان يأتيها الصحابة، فيسألونها وتجيبهم.

قال عطاء: كانت عائشة أفقهَ الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة[١].

وقال الذّهبي عنها: «كانت أفقهَ الناس في الأمّة على الإطلاق»[٢].

وقال عنها– أيضًا–: «كان فقهاءُ أصحاب رسول الله ﷺ يرجعون إليها، وتفقّه بها جماعة. يروي قبيصة بن ذؤيب قال: كانت عائشةُ أعلمَ الناس، يسألها أكابرُ الصحابة»[٣].

(١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، كتاب معرفة الصحابة، باب الصديقة، ج٤/ ١٤، وانظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر، ج٢/ ٤٣٥ طبع: حيدر آباد، الهند.

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج٢/ ٩٨.

(٣) تذكرة الحفاظ، للذهبي، ج١/ ٢٧.

وقال علي بن مسهر: أخبرنا هاشم– يعني بن عروة– عن أبيه، قال: «ما رأيتُ أحدًا من الناس أعلمَ بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلالٍ وحرام... مِن عائشة– رضي الله عنها–»[1].

وعنْ قبيصة بن ذؤيب قال: «كان عروة يغلبنا بدخوله على عائشة، وكان يسألها الأكابرُ من أصحاب سيدنا محمّد ﷺ، ويسألونها عن الفرائض».

وقال أبو موسى الأشعري: "قد حَفِظَتْ عنه– أي عن النبي ﷺ – شيئًا كثيرًا، وعاشت بعده قريبًا من خمسين سنة، فأكثر الناس الأخذَ عنها ونقلوا عنها الأحكام والآداب شيئًا كثيرًا، حتى قيل: إنّ ربعَ الأحكام الشرعية منقولٌ عنها– رضي الله عنها"[2].

٢- الحديث:

اشتهرتْ أمّ المؤمنين عائشة بكثرة رواية الحديث عن الرسول الله ﷺ ولذا روى عنها عددٌ كبير من الصحابة والتابعين.

وقال ابن سعد: «..كما حفظت الكثيرَ من الحديث النبوي، وكانت من المكثرين»[3].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ٨/ ١٦، تذكرة الحفاظ، للذهبي، ح١/ ٢٧.

(٢) فتح الباري، وكتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة، رضي الله عنها، ح٧/ ١٣٤.

(٣) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ح ٨/ ٧٣، طبع دار صادر، بيروت، ٥١٣٧٧/ ١٩٥٧م.

وروى أبو بردة عن أبي موسى عن أبيه، قال: «ما أشكل علينا أصحابُ محمد ﷺ حديثٌ قطّ، فسألنا عائشة إلّا وجدنا عنها منه علما»[1].

وهذا النصّ دليلٌ على الإحاطة التي بلغتها السيدة عائشة في رواية الحديث النبوي.

وقال ابن حجر: «كانت السيدة عائشة أعلمَ نساء النبي ﷺ، وأكثرهنّ رواية»[2].

بل كان لأمّنا عائشة- رضي الله عنها- مدرسةٌ حديثية، ومنهج في الحديث، وسيأتي الحديث عنه فيما بعد.

٣- التفسيرُ وعلوم القرآن:

من العلوم الذي برزت فيها السيدةُ عائشة- رضي الله عنها- التفسير وعلوم القرآن، فكثيرًا ما كانت تسألُ الرسولَ ﷺ عن تفسير بعض الآيات القرآنية، كما كانت تسألُ عن تفسير القرآن، فتجيب، ولها منهجٌ خاص في تفسير القرآن، وسيأتي الحديث عنه.

(١) تذكرة الحفاظ، ج١/ ٢٨.

(٢) تهذيب لابن حجر، ج١٢/ ٤٣٥.

٤- علومٌ أخرى:

ولم يقف علمُ عائشة على العلم الشرعي فحسب، بل كانت عالمةً بالشعر والطبّ والنّسب.

يقول عروة: «ما رأيت أحدًا أعلمَ بالطب منها»[١].

وعنه قال: «ما رأيت أحدًا من الناس أعلمَ بالقرآن والفريضة، ولا بحلالٍ وحرام، ولا بشعر، ولا بحديث العرب، ولا النسب؛ مِن عائشة- رضي الله عنها»[٢].

وقال ابن سعد نقلًا عن عروة: «ربّما روت عائشة القصيدةَ ستّين بيتًا، والمائة بيت»[٣] إذًا، فلم يكنْ علمُ عائشة- رضي الله عنها- موقوفًا على العلم الشرعي وحده، بل ألّمت بعلوم أخرى، وإنّ معرفتها لهذه العلوم أعانتها على تكوين العقلية العلمية التي أسهمت إسهامًا ملحوظًا بالنسبة للعلم الشرعي.

---

(١) تذكرة الحفاظ، ح١/ ٢٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ٨/ ٧٣.

المبحثُ الثّالث: إسهامُ عائشة في العلم

ويشمل:

١- حفظها العلم.

٢- الفتاوى.

٣- مجالس العلم في بيتها.

٤- تصحيح ما غفل عنه الصحابة.

٥- تلقي العلم على يديها.

إسهامُ عائشة في العلم:

إذا ذُكر أنّ للنساء إسهامًا في العلم؛ فإنّ عائشة- رضي الله عنها- أولى النساء إسهامًا في نشر العلم وحفظه وتبليغه، إذْ كانت تعتقد أنّ المرء لا يكفيه أنْ يسمع العلم من غيره، بل لا بدّ له من نشره والحفاظ عليه، فكانت تملك ثروة علمية، كيف لا؟! وهي كانت كثيرًا ما تسأل الرسولَ ﷺ عن أشياء ربما لم يحضرها غيرها.

مكانةُ عائشة العلمية:

وقد ساق الإمامُ السيوطي عددًا من الأحاديث في بيان مكانةِ السيدة عائشة في العلم، من ذلك:

ما أخرجه الحاكمُ في المستدرك عن عروة، قال: «ما رأيت أحدًا أعلمَ بالحلال والحرام، والعلم، والشعر، والطب؛ من عائشة».

وأخرج الحاكمُ عن عروة، قال:« قلت لعائشة: قد أخذت السننَ عن رسول الله ﷺ، والشعر والعربية عن العرب، فعمّن أخذتِ الطب»؟

قالت: «إنّ رسول الله ﷺ كان رجلًا مسقامًا، وكان أطباء العرب يأتونه، فأتعلّم منهم». كتاب الطب، وقال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وأخرج الحاكمُ عن مسروق قال: «والله رأيتُ الصحابة يسألون عائشة عن الفرائض».

وأخرج الحاكمُ عن عطاء، قال: «كانت عائشة أفقهَ الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة».

وأخرج الحاكمُ عن موسى بن طلحة، قال: «ما رأيت أحدًا أفصح من عائشة».

وأخرح الحاكمُ عن الأحنف، قال: سمعت خطبة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والخلفاء هلمّ جرّا، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم، ولا أحسنَ منه؛ مِن فيِّ عائشة، رضي الله عنها-؛ يعني فمها»[1].

ويمكن إيجازُ إسهام عائشة في العلم فيما يلي:

١- حفظُها للعلم:

حفظت أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قسطًا من علم النبي ﷺ وافرًا، وكما قال ابن حجر: «.. حتى قيل: إنّ ربع الأحكام الشرعية منقول عنها، رضي الله عنها».

---

(١) عين الإصابة في استدراك عائشة على الصحابة، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ص: ٢٨-٣٠، مكتبة العلم، ١٤١٩هـ = ١٩٨٨م.

ومِن حفظها للعلم ما روتْه وحفظته من أحاديث الرسول ﷺ، وللسيدة عائشة- رضي الله عنها- مُسندٌ يبلغ عددُ أحاديثه ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، اتّفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفردَ مسلم بتسعة وستين.

٢- الفتاوى:

ويعدّ من جانب إسهامها ما كانت تفتي به إذا سُئلت، فقد كان كثيرًا ما يأتيها الصحابة يسألونها فيما استشْكل عليهم، وهُم أصحاب رسول الله ﷺ، وقد أخذوا عنها قسطًا من العلم، إلّا أنّ ما تميزت به أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- مِن عقلية فذّة وذكاء حاد، وحبّ للعلم، وحرصٍ عليه، واجتهاد في الأخذ منه بقسط وافر، وصحبتها للرسول ﷺ، كلّ ذلك كان داعيًا أنْ تحمل هذه المكانة العلمية، فيأتيها الصحابة- رضوان الله عليهم-، فيسألونها في كثيرٍ ممّا استشكل عليهم من فتاوى فتجيبهم بأحسن جواب.

٣- مجالسُ العلم في بيتها:

وفي مجال إسهامها يلحظُ أنه كان يُقام في بيتها مجالس للعلم، يتلقى فيه الصحابة منها الفقه والحديث والتفسير، وغير ذلك.

فعنْ عبيد الله بن عبد الله بن عقبة، قال: «دخلتُ على عائشة فقلت: ألا تحدّثيني عن مرض رسول الله ﷺ؟ قالت: بلى، ثقل النبي ﷺ فقال: أصلّى

الناسُ؟ فقلنا: لا، يا رسول الله، وهم ينتظرونك. قال: ضعوا لي ماءً على المخضب، قالت: ففعلنا، فاغتسلَ فذهبَ لينوء فأغمي عليه، ثمّ أفاق، فقال صلى الله عليه وسلم: أصلّى الناسُ؟ قلنا: لا، هُم ينتظروك يا رسول الله. قال: ضعوا لي ماءً على المخضب. قالت، فقعد فاغتسل، ثمّ ذهب لينوء فأغمي عليه، ثمّ أفاق، فقال: أصلّى الناسُ؟ قلنا: لا، هُم ينتظرونك يا رسول الله. فقال: ضعوا لي ماءً في المخضب، فقعد فاغتسل...»[(١)].

فهذا عبيد الله بن عقبة يدخل بيتَ عائشة- رضي الله عنها، ويتعلم منها، ومثال ذلك أيضًا، ما روي زرارة أنّ سعد بن هشام بن عامر أراد يغزو في سبيل الله فقَدِم المدينة. فأراد أن يبيع عقارًا له بها. فيجعله في السلاح والكراع. ويجاهد الروم حتى يموت. فلمّا قدم المدينة، لقي أناسًا من أهل المدينة، فنهوه عن ذلك، وأخبروه أنّ رهطًا ستة أرادوا ذلك في حياة نبي الله ﷺ، فنهاهم نبيُّ الله، ﷺ. وقال: «أليس لكم فيّ أسوة؟» فلمّا حدّثوه بذلك راجع امرأتَه، وقد كان طلّقها، وأشهد على رجعتها. فأتى ابن عباس فسأله عن وتر رسول الله، ﷺ؟ فقال ابن عباس: «ألا أدلّك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله، ﷺ؟ قال: مَن؟ قال: عائشة. فأتِها فاسألها. ثمّ ائتني

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب إنّما جُعل الإمامُ ليؤتم به، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر.

فأخبرني بردّها عليك. فانطلقتُ إليها، فأتيتُ على حكيم بن أفلح، فاستلحقته إليها، فقال: ما أنا بقاربها؛ لأنّي نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئًا فأبتْ فيهما إلّا مضيًّا. قال: فأقسمت عليه. فجاء. فانطلقنا إلى عائشة، فاستأذنّا عليها، فأذنتْ لنا، فدخلنا عليها، فقالت: أحكيم؟ (فعرفته) فقال: نعم. فقالت: مَن معك؟ قال: سعد بن هشام. قالت: مَن هشام؟ قال: ابن عامر. فترحّمت عليه، وقالت خيرًا. (قال قتادة وكان أصيب يومَ أحد) فقلت: يا أمّ المؤمنين، أنبئيني عن خُلق رسول الله ﷺ. قالت: ألستَ تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإنّ خُلق نبي الله ﷺ كان القرآن. قال فهمَمْت أن أقوم، ولا أسأل أحدًا عن شيء حتى أموت. ثمّ بدا لي فقلت: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ، فقالت: ألست تقرأ: يا أيّها المزمّل؟ قلت: بلى. قالت: فإنّ الله- عزّ وجل- افترض قيامَ الليل في أوّل هذه السورة. فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولًا، وأمسك الله خاتمتَها اثني عشر شهرًا في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيفَ، فصار قيامُ الليل تطوعًا بعد فريضة. قال: قلت: يا أمّ المؤمنين، أنبئيني عن وتر رسول الله ﷺ. فقالت: كنّا نعدّ له سواكه وطهوره، فيبعثه الله ما شاء أنْ يبعثه من الليل، فيتسوّك ويتوضّأ ويصلّي تسع ركعات، لا يجلس فيها إلّا في الثامنة. فيذكر الله ويحمده ويدعوه، ثمّ ينهض ولا يسلّم، ثمّ يقوم فيصلي التاسعة، ثمّ يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه، ثمّ يسلّم تسليمًا يسمعنا، ثمّ يصلّي ركعتين بعد ما يسلّم وهو قاعد. فتلك إحدى عشرة ركعة

يا بني. فلمّا سنّ نبي اللهﷺ وأخذه اللّحم، أوتر بسبع. وصنعَ في الركعتين مثل صنعيه الأوّل؛ فتلك تسعٌ يا بني. وكان نبي الله ﷺ إذا صلّى صلاة أحبّ أن يداوم عليها. وكان إذا غلبه نومٌ أو وجع عن قيام الليل؛ صلّى مِن النهار ثنتي عشرةَ ركعة. ولا أعلم نبيّ الله ﷺ قرأ القرآنَ كلّه في ليلة، ولا صلّى ليلةً إلى الصبح، ولا صام شهرًا كاملًا غير رمضان. قال فانطلقت إلى ابن عباس فحدّثته بحديثها. فقال: صدقت، لو كنت أقربها أو أدخل عليها لأتيتُها حتى تشافهني به. قال: قلت: لو علمت أنّك لا تدخل عليها ما حدّثتك حديثها»[1].

فهذا حكيم بن أفلح وسعد بن هشام بن عامر يدخلان عليها ليأخذا منها العلم.

٤- تصحيحُ ما غفل عنه الصحابة:

ومِن إسهامها في العلم، أنّها- رضي الله عنها- كانت كثيرًا ما تصحّح للصحابة بعضَ ما أخطأوا فيه من الأحكام.

ومِن أمثلة ذلك:

أ- تعذيبُ الميت ببكاء الحي.

ب- والمرأةُ تقطع الصلاة، وأنّ النبي، صلى الله عليه وسلم، رأى ربّه، وغير ذلك من الأحكام.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافر، باب جامع صلاة الليل ومنام عنه أو مرض.

وقد ذكرت طرفًا منها خلالَ هذا البحث، والحقّ أنّ كثيرًا من العلماء يسمّيه استدراكًا كالزركشي وغيره. وأظنّ أنّ هذه التسمية مجانبة للصّواب فالأولى تسميتها: ما خلفت فيه عائشة الصحابة؛ لأنّ الاستدراك يعني القطعَ بخطأ الغير، وما خالفت فيه عائشة- رضي الله عنها- الصاحبة يحتملُ الخطأ والصواب كنوعٍ من الاجتهاد، وهذا دليلُ علمها، وإن كان شطرًا منه يعدّ استدراكًا بالفعل، ولكن لا يطلق على كلّ ما خلفت فيه أمّ المؤمنين عائشة استدراكًا لما أوضحت من سبب.

وهذه المخالفاتُ كانت تفتح مجادلتها للبحث والعلم، فيتشاور الصحابةُ فيما ذهبت عليه، حتى يتسنّى لهم الوقوفُ على وجه الصواب في هذه المسائل، وهذا من إسهامها في العلم.

٥- تلقّي العلم على يديها:

تتلمذَ على عائشة- رضي الله عنها- عددٌ كبير من الصحابة والتابعين، فنهلوا من مَعينِ علمها، لمّا رأوا من وافرِ حظّها فيه، فقد أخذ عنها ما يربو على مائتي رجلٍ وامرأة، أشهرهم:

إبراهيم بن يزيد التيمي، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن العاص، وشريح بن أرطأة وطاووس، وطلحة بن عبد الله التيمي، وابن الزبير ابن اختها، وأخوه عروة وابن عمر، وابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، وعكرية، وعلقم،

وابن سيرين، وأبو جعفر الباقر، ومطرف بن الشخير، ومسروق، ومحكول، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وأبو موسى، وأبو هريرة، وحفصة بنت أخيها، وخيرة، وأخوها عبد الرحمن، وزينب بنت أبي سلمة، وعائشة بنت طلحة ومعاذة العدوية، وأم كلثوم التيمية[1].

إنّ عددًا مثل هذا، ما عرف عن بعضهم من نشرِ العلم؛ لجديرٌ أن يبدأ أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- مكانة عليَّة في إسهامها في نشر العلم وحفظه وتبليغه.



(١) انظر: سير أعلام النبلاء، ح٢/ ١٣٦- ١٣٩، وتحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزي، (يوسف بن الزكي)، تصحيح وتعليق: عبد الصمد شرف الدين، نشر الدار القيمة، بومباي، الهند.

الفصلُ الثّاني: منهجٌ عائشة في العلم الشرعي

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحثُ الأوّل: منهجُها في التفسير.

المبحثُ الثّاني: منهجُها في الحديث.

المبحثُ الثّالث: منهجُها في الفقه.

المبحثُ الرّابع: عائشةُ وأصول الفقه.

المبحثُ الأوّل: منهجُها في التفسير

ويشتمل على:

١- تفسير القرآن بالسنة.

٢- أسباب النزول.

٣- اللغة.

٤- القراءات.

٥- النسخ.

٦- الاجتهاد.

٧- التفسير بظاهر النص.

٨ المحكم والمتشابه.

مقدّمة:

لم تكتبِ السيدة عائشة تفسيرًا بيدها، ولكنْ ورد عن عائشة- رضي الله عنها- تفسيرًا للقرآن، متفرّقًا في بطون كتب الحديث والتفسير.

وإنْ كانت السيدة عائشة- رضي الله عنها- بلغت مكانةً علمية في العلم الشرعي؛ فإنّ مكانتها في التفسير تعدّ على رأس هذه العلوم الشرعية.

وقد أدّت بعض العوامل إلى أنْ تكون السيدة عائشة- رضي الله عنها- لنفسها منهجًا، فإنّ المدقّق فيما ورد عنها من تفسير للقرآن، ليرى أنّ لها منهجًا في التفسير، تدلّ عليه سماتٌ منهجية واضحة المعالم.

وإنْ لم يكن أحدٌ قد تطرّق إلى هذا الموضوع من قبل- حسبَ ظنّي- فإنّي أجتهد في وضع سماتٍ منهجيّة مُستخلصة ومستنبطة ممّا جمعت من بعض ما ورد عن السيدة عائشة من تفسير، مدلّلًا ومبيّنًا منهجها في تفسيرها للقرآن الكريم.

وقبل الشروع في ذكر المنهج، يحسُنُ العروج على العوامل التي جعلت للسيدة عائشة منهجًا في العلم الشرعي على وجه العموم، من ذلك:

١- نشأتها العلمية، فقد تربّت في بيت علم، وكفى أن يكون أبوها الصديق رضي الله عنه.

٢- زواجها من الرسول ﷺ وعيشتها في بيته ﷺ كان له أثرٌ في تشكيل عقلية علمية.

٣- ما أخذته من قسطٍ وافر من العلم، جعل لها منهجًا فيه.

٤- ما عُرف عنها بالحفظ والذكاء الذي امتازت به السيدة عائشة، رضي الله عنها.

٥- حرصها الشديد على أخذ العلم، وبذل الوقت في سبيل تحصيله.

هذه العواملُ وغيرها، كان لها أثرٌ بالغ في تشكيل العقلية المنهجية للسيدة عائشة، رضي الله عنها.

منهجُ عائشة- رضي الله عنها- في التفسير:

يمكن إيجازُ منهج السيدة عائشة في تفسيرها للقرآن الكريم فيما يلي:

١- تفسيرُ القرآن بالسنة:

وهذه السّمة المنهجيةُ تعدّ أبرز السمات وأكثرها، إذ كانت السيدة عائشة كثيرًا ما تسأل الرسول ﷺ عنْ تفسير بعض الآيات، فتروي فيها أحاديث النبي ﷺ.

وقد تسأل فيما بعدُ عن تفسير هذه الآيات، فتجيب عن بما روتْ عن الرسول ﷺ.

وتارةً لا تسأل عن التفسير، لكنّها تروي أحاديث توافق تفسير بعض الآيات، فيكون ذلك تفسيرًا لهذه الآيات.

والأمثلةُ على هذا النوع كثيرة، منها:

١- ما روى عامر عن مروان، قال: قلت لعائشة: يا أمّ المؤمنين: أرأيت قول الله ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للهِّ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (١). وأين الناس يومئذ؟ فقالت: سألتُ رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: على الصراط(٢).

فالسيدة عائشة- رضي الله عنها- سألتِ الرسول ﷺ، عن تفسير الآية، وروتْ في ذلك حديثًا، فلمّا سئلت عن تفسيرها، أجابت بما سألت وروت.

٢- عند تفسيرها لقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٣).

---

(١) إبراهيم: ٤٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، ج٨/ ص ١٢٧- ١٢٨. كما رواه بن ماجة في باب ذكر البعث، رقم ١٢٧٩، ج٢/ ص ١٤٣٠. ورواه الترمذي في أبواب التفسير، رقم ٥١٢٧، ج٤/ ٣٥٩. ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ج٢/ ٣٥٢، كتاب التفسير.

(٣) البقرة: ٢٧.

فتروي السيدة عائشة في ذلك، قالت: «جاءت عجوزٌ إلى النبي ﷺ وهو عندي، فقال لها رسولُ الله ﷺ: مَن أنت؟ قالت: أنا جتامة المزنية. فقال: بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخيرٍ يا أبي أنت وأمّي يا رسول الله. فلمّا خرجت قلتُ يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقْبال، فقالت: إنها كانت تأتينا زمنَ خديجة، فإنّ حُسن العهد من الإيمان»[(١)].

وهنا تروي السيدة عائشة– رضي الله عنها– حديثًا يفسّر هذه الآية.

٣ – ومن الأمثلة أيضًا، في تفسيرها القرآن بالسنة، ما روته في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[(٢)].

عنْ عائشة– رضي الله عنها– قالت: كان رسولُ الله ﷺ يضع لحسان منبرًا في المسجد، فيقوم عليه يهجو مَن قال في رسول الله ﷺ «إنّ روح القدس مع حسان ما نافح عن رسول الله ﷺ»[(٣)].

---

(١) مستدرك الحاكم، كتاب الإيمان، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد اتفقا على الاجتماع برواته في أحاديث كثيرة وليست له علة، ج١/ ١٥– ١٦.

(٢) البقرة: ٨٧.

(٣) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر واللفظ له، كما رواه الترمذي في كتاب الأدب، باب ما جاء في إنشاء الشعر.

٤- ومن هذا الشأن تفسيرُها لقول الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.[١]

فعنْ قتيبة بن سعيد وأبي بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب قالوا: حدثنا وكيع عن زكريا بن أبي زائدة، عن مصعب بن شيبة عن طلق بن حبيب عن عبد الله بن الزبير، عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء. قال زكريا قال مصعب ونسيت العاشرة إلّا أن تكون المضمضمة: زاد قتيبة: قال وكيع: انتقاص الماء: الاستنجاء[٢].

فالسيدة عائشة- رضي الله عنها تفسير الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم بأنها سنن الفطرة، وتروي في ذلك حديثًا عن النبي ﷺ.

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم (٥٦)، ج١/ ٢٢٣ واللفظ له، وأبو داود في الطهارة، باب السواك من الفطرة، (٥٣) ج١/ ٤٥٠٤٤ والترمذي في الأدب، باب ما جاء في تقليم الأظافر رقم (٢٧٥٧) ج٥/ ٩٢٠٩١، والنسائي في الزينة، باب من سنن الفطرة، رقم (٥٠٢٠) ج٨/ ١٢٦- ١٢٨، وابن ماجة في الطهارة وسننها، ورقم ٢٩٣، ج١/ ١٠٧، وأحمد في المسند ج١/ ١٩٥، طبعة المكتب الإسلامي.

والأمثلةُ في هذه السّمة المنهجية كثيرة جدًّا، كتفسيرها لقول الله ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعون﴾.[1]

وتعدّ هذه السّمة هي أبرز السّمات وأكثرها ورودًا في منهج السيدة عائشة في التفسير.

ثانيًا: أسبابُ النّزول:

ترى السيدةُ عائشة- رضي الله عنها- أنّ من أهمّ الأمور التي لا بدّ للمفسر للقرآن أن يهتمّ بها، أسباب النزول، إذ أنّ في تبيين أسباب النزول، توضيحًا لمراد الآية، فيسهل معرفة المراد منها.

وقد كانت السيدةُ عائشة- رضي الله عنها- تسأل عن تفسير آية، فتجيب مبيّنة سبب النزول، وتارة كانت تروي سببَ النزول دون أن تسأل عن التفسير.

ومِن أمثلة ذلك ما يلي:

١- روى عطاء، يعني ابن رباح، قال: «دخلتُ أنا وعبيد بن عمير، على عائشة، فقالت لعبيد بن عمير، قد آنَ لك أن تزورنا؟فقال: أقول يا أمّ، كما قال الأوّل: زرعنا، وتزوجنا. قال: فقالت: دعونا من بطالتكم هذه.

(١) البقرة: ١٥٦، وتفسيرها وارد في الدر المنثور، للسيوطي، ج١/ ٢٨١.

قال: ابن عمير أخبرينا بأعجب شيء رأيتِه من رسول الله ﷺ. فسكت ثمّ قالت: لمّا كان ليلة من الليالي، قال: يا عائشة، ذريني أتعبّد الليلة لربي، قلت: والله إني لأحبّ قربَك وأحبُّ ما يسرّك. فقالت: فقام، فتطهّر، ثمّ قام فصلى، قالت: فلم يزل يبكي حتى بلّ حجره، قالت: وكان جالسًا فلم يزل يبكي حتى بلّ لحيته، قالت: ثمّ بكى فلم يبكِ حتى بلّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلمّا رآه يبكي، قال: يا رسول الله، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدّم وما تأخّر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا: لقد نزلت عليّ الليلة آياتٌ ويلٌ لَمَن قرأها ولم يتفكّر فيها ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

فالسيدةُ عائشة- رضي الله عنها- تروي حديثًا، يبيّن سبب نزول آية بعدما سئلت عن حالِ النبي ﷺ، وإن لم تكن قد سئلت عن تفسير الآية.

٢- وأحيانًا تسأل عن تفسير آية، فتجيب بما ورد من أسباب نزولها. فعن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: قلتُ لعائشة زوج النبي ﷺ وأنا يومئذٍ حديثُ السّن، أرأيت قول الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فما أرى على أحدٍ شيئًا أن لا يطوف بهما. فقالت عائشة: كلّا، لو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه أن يطوف بهما، إنما نزلت هذه الآية في

الأنصار، كانوا يهلّون لمناة، وكانت مناةُ حذو قديد، وكانوا يتحرّجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلمّا جاء الإسلام سألوا رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾.(١)

فعن هشام عن عروة عن أبيه قال: قالت عائشة: يا ابن أختي، كان رسول الله ﷺ لا يفصل بعضنا على بعض في القسم من مُكثه عندنا، وكان كلّ يوم إلّا وهو يطوف علينا جميعًا، فيدنو من غير مَسيس، حتى يبلغ إلى التي يومها، فيبيتُ عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أن يفارقها رسول الله ﷺ ، يا رسول الله، يومي لعائشة، فقبل ذلك رسول الله ﷺ ، وسلم منها، قالت: تقول في ذلك أنزل الله تعالى فيها وفي أشباهها أراه قال﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾.

وقد ينقل عنها تفسيرُ الآية بما توضّح من سبب نزولها، مثال ذلك، ما رواه هشام عن عروة عن أبيه، عن عائشة- رضي الله عنها- في قوله تعالى ﴿

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى (إن الصفا والمروة من شعائر الله، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما، ومن تطوع خيرًا فإن الله شاكر عليم) واللفظ له. وأخرجه مسلم في كتاب الحج، باب بيان أنّ السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصحّ الحجّ إلّا به. وأخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب أمر الصفا والمروة، رقم (١٩٠١) ج٢/ ٤٥٢- ٤٥٤.

وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾أنها نزلت في مال اليتيم إن كان فقيرًا أنه يأكل منه، فكان قيامُه عليه بالمعروف.

وهذه السّمةُ بارزة في تفسير السيدة عائشة، وتعدّ ثاني سمةٍ بعد التفسير بالسنة.

ثالثًا: اللغة:

اعتمدت أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- على اللغة في تفسير القرآن الكريم، فقد كانت تسألُ عن تفسر الآية، فتجيب وفقًا لكلام العرب، مثال ذلك، ما روي عنها في تفسير قول الله تعالى ﴿أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ قالت: أعدل[1].

وقال الراغب الأصفهاني: أقسط: قسط الرجل إذا جار، وأقسط ذا عدل[2].

وفي المثال السابق، صرّحت أمّ المؤمنين عائشة، بتفسيرها اللغوي، لكنها أحيانًا أخرى لا تصرّح بذلك، ولكن يفهم أنها تفسّر اللغة، ففي تفسيرها لقوله تعالى ﴿ لاَ جَرَمَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.

(١) الدر المنثور، للسيوطي، ج٢/ ١١٤.

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ص٤١٨.

فيروي عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه عن الأسود عن عائشة قالت: إنكم لتدعون أفضلَ العبادة: التواضع[١].

بل كانت عائشة- رضي الله عنها- تصحّح تفسير غيرها، معتمدة على اللغة، فعنْ هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: قلت لعائشة، زوج النبي، صلى الله عليه وسلم، وأنا يومئذ حديثُ السن: أرأيت قولَ الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فما أرى على أحدٍ شيئًا ألّا يطوف بهما، فقالت عائشة: كلّا، لو كانت كما تقول كانت: فلا جناح عليه أن يطوف بهما[٢].

فأمّ المؤمنين عائشة- اعتمدت في تفسيرها للآية، وتصحيح الخطأ، رجوعًا إلى اللغة العربية، وذلك لأنّ القرآن نزل بلغة العرب، وهو يفهم وفق قواعد.

رابعًا: القراءات:

كانت السيدة عائشة- أمّ المؤمنين- رضي الله عنها- عالمةً بالقراءات فتجيبها، مال ذلك قول الله تعالى ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم، ج٢/ ٤٦، والزهد، للإمام أحمد، ص٥٦، طبع دار النهضة، بيروت.

(٢) سبق التخريج.

عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[١].

كما يروي عنها قراءات، وإن لم تنسبها إلى رسول الله ﷺ وإن كان الظنّ إنها سمعتها من الرسول ﷺ، مثال ذلك قولُه تعالى ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

فيروي أبو عمرو مولَى عائشة أنها كانت تقرأ «يطوقونه» بدلًا من «يطيقونه»[٣].

وأحيانًا كانت أمّ المؤمنين عائشة- تصحّح تفسيرًا معتمدة على القراءة، فعن أبي شهاب عن عروة، عن عائشة قالت: قلت لها: قوله ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ ﴾قال: قالت عائشة: لقد استيقنوا أنهم قد كذبوا. قلت: كذبوا، قالت: معاذ الله، لم تكنِ الرسل تظن يومًا، إنما هُم

(١) هود: ٤٦.

(٢) البقرة: ١٨٤.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة يوسف، باب قوله «حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ»، وابن كثير ٢/ ٤٩٧.

أتباع الرسل، استأخرَ عنهم الوحي، واشتدّ عليهم البلاء، ظنت الرسل أنّ اتباعهم قد كذبوهم، جاءهم نصرنا[١].

وبذا، فإنّ السيدة عائشة– رضي الله عنها– تعتمد القراءات في التفسير، بل أنها ترجّح قراءة على أخرى، حتى يستفهم تفسيرها.

خامسًا: موقعُها من النسخ:

وردَ عن السيدة عائشة– رضي الله عنها– أنها كانت تهتمّ في تفسيرها بالنسخ، حيث ورد عنها أكثرُ من رواية، تدلّل على اهتمامها بالناسخ والمنسوخ، مثالُ ذلك، قول الله تعالى ﴿ لِّلَّهِ ما في السَّمَاوات وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢].

فيروي قتادة عن عائشة أمّ المؤمنين قالت: نسختها قوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [٣].

مثالٌ آخر، وهو قول تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة يوسف، باب قوله حتى إذا استيأس الرسل، ج٥/ ٢١٨، أورده ابن كثير ج٢/ ٤٩٧، والدر المنثور، للسيوطي، ج٤/ ٢٢٩.

(٢) البقرة: ٢٨٤.

(٣) تفسير الطبري، ج٦/ ١١١٢، والدر المنثور، للسيوطي، ج٢/ ٢٢٩.

وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [1].

فيروي عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة، قالت: "كان فيما أنزل من القرآن ثمّ سقط، لا تحرم إلّا عشر رضعات أو خمس معلومات"[2].

تعقيب:

وإنْ كان كثيرٌ من العلماء، لم يوافقوا السيدة عائشة، فإنهم رفضوا النسخ في المسألة الأولى، فجمعوا بين الآية والأحاديث التي تثبت عدم النسخ، كما أن كثيرًا منهم رفضَ نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، ولكنْ يبقى الاستشهاد قائمًا في أنّ السيدة عائشة- رضي الله عنها- كانت تعتبر النسخ عند تفسيرها للقرآن الكريم.

---

(١) النساء: ٢٣.

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب تحريم المصّة والمصّتان.

سادسًا: الاجتهاد:

تميّزت أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- بشخصية فذّة، وعقل يشعّ ذكاءً، ممّا جعلها تجتهد في كثيرٍ من تفسير آيات القرآن الكريم، فضلًا عن اجتهادها في أحكام الشريعة.

وقد كانت أمّ المؤمنين- عائشة- رضي الله عنها- تجتهد أمامَ الرسولﷺ فإن كان صوابًا أمره، وإن كان خطأ صحّحه، مثال ذلك ما روى أبو هريرة، قال: قالت عائشة: يا رسولَ الله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُون﴾، أهو الذي يذنب الذنب، وهو وجلٌ منه؟ فقال: لا ولكن مَن يصوم ويصلي ويتصدق وهو وجل.[1]

فقد كان اجتهادُها أمام الرسول ﷺ حافزًا لها أن تجتهد فيما بعد، مثالُ ذلك قوله تعالى ﴿وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [2].

فيروي محمد بن إسحاق عن الزهري عن عائشة قالت: وآتوا النساء صدقاتهنّ نِحلة. قالت: واجبة[3].

(١) الدور المنثور، للسيوطي، ح٦/ ١٠٥.

(٢) النساء: ٤.

(٣) تفسير ابن كثير، ح١/ ٤٥٢، السيوطي والدر المنثور، ولابن أبي حاتم ح٢/ ٤٣١

والنّحلة: بالكسر العطية[١].

ومثالُه أيضًا قوله تعالى ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ [٢]، فيروي عروة عن أبيه عن عائشة "إن يدعون من دونه إلّا إناثًا" قالت: أوثانًا[٣].

وقد روي عنها في تفسيرها لقول الله تعالى ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾.

فيروي ابن جريج عن جميلة بنت سعد عن عائشة قالت: لا يكون الحمل أكثر من سنتين، قدر ما يتحوّل ظلّ مغزل[٤].

وبذا، فقد كانت السيدة عائشة- رضي الله عنها- تجتهد في تفسير القرآن الكريم، والأمثلة على اجتهادها في التفسير غير ما ورد[٥].

---

(١) والنحلة النهاية في غريب الحديث، الآية ح٥/ ٢٩.

(٢) النساء: ١١٧

(٣) أورده ابن كثير في تفسيره، ح١/ ٥٥٦ عند تفسير الآية في سورة النساء.

(٤) رواه الدارقطني، في كتاب النكاح، والبيهقي في السنة الكبرى: باب ما جاء في أقلّ الحمل، ح٧/ ٤٢٣ وانظر: روح المعاني والسبع المثاني للألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، مغزل: ما يغزل به الصوف والقطن ونحوهما يدويًّا وآليًّا، انظر: لسان العرب، لابن منظور، ح٥/ ٣٢٥٢، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ط٣ ح٢/ ٦٥٢.

(٥) لتفسيرها الآية ١٨٠ من سورة البقرة.

سابعًا: التفسيرُ بظاهر النّص دون تأويل:

وقد كانت أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- تفسّر القرآن تفسيرًا ظاهريًّا دون تأويل للنص، ما لم تدعْ الحاجة إلى ذلك، مثالُ ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ فَإيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [1].

فيروي عن أبي علقمة عن عائشة، قالت: إنّ الله يحب أن يدعى هكذا، وأشارت بأصبعٍ واحد[2].

ثامنًا: المُحكم والمُتشابه:

يبدو موقف أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- من المحكم والمتشابه، أنها لم تتعرّض في تفسيرها لأي آية من الآيات المتشابهات، واجتنبتها تمامًا لتحذير الرّسول ﷺ من الخوض في هذا النوع من الآيات، فعن ابن مليكة عن القاسم بن محمد، عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ

(١) النحل: ٥١.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في كتاب الدعاء، ح١٠، ٣٨، تحقيق: عمر بن غرارة العمري، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، كما أورده الدر المنثور، للسيوطي، ح٥/ ١٣٧.

كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ، فإذا رأيت الذين يتّبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم[١].

عن عائشة قالت: قال رسولُ الله ﷺ تحشرون حفاةً عراة غرلًا، قالت عائشة: فقلت يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: الأمرُ أشدّ من أن يهمّهم ذاك[٢].

وعنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: مَن أحبّ لقاء الله، أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقلت يا نبي الله أكراهية الموت فكلنا نكرَهُ الموت؟ فقال: ليس كذلك، ولكنّ المؤمن إذا بشّر برحمة الله ورضوانه وجنته أحبّ لقاء الله، فأحبّ الله لقاءه، وإنّ الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه[٣].

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب «فيه آيات مُحكمات» ٦٤/ ٤٢ واللفظ له. ورواه مسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع مُتشابه والتحذير من مُتبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن، ح٤/ ٢٠٥٣، رقم (١).

(٢) البخاري، كتاب، باب كيف الحشر، ١٤/ ١٧٦، مسلم، الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ٨/ ١٥٦.

(٣) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب مَن أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ٨/ ٦٥، البخاري، ك الرفاق، من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ٤/ ١٤٤.

المبحثُ الثّاني: منهجُها في الحديث

ويشتمل على مطلبين:

المطلبُ الأوّل: السمات المنهجية الخاصة بالسند، وفيه:

- التلقي المباشر.
- الأمانة في النقل والضبط.
- روايتها عن الثقة.
- اختبار الرواة للتثبت.

المطلبُ الثّاني: السّماتُ المنهجية الخاصة بالمتن، وفيه:

- العرض على القرآن.
- العرض على ما ثبت عندها من حديث.
- العرض على العقل.
- ردّ بعض الأحاديث لأسباب منها:

١- الوهم.

٢- النسيان.

٣- الغفلة عن سبب الورود.

- العمل بالرواية.

المطلبُ الأوّل: السّماتُ المنهجية الخاصة بالسند:

ويقصد بالسند؛ النظرُ في سلسلة الرواة. وقد يتعجّب لأول للحديث عن سند أمّ المؤمنين عائشة في الحديث، إذ إنها كانت تروي عن رسول الله ﷺ.

والحقّ أنّ الداعي لدراسة هذا الأمر ما يلي:

أولًا: أنّ أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- روتْ عن غير رسول الله ﷺ فقد روتْ عن أبيها أبي بكر- رضي الله عنه، وسعد بن أبي وقاص، وحمزة بن عمرو الأسلمي، وعمر بن الخطاب، وجذامة بنت وهب، وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ[1].

ثانيًا: ما كان يعرض عليها من أحاديث لغيرها من الصحابة- رضوان الله عليهم- فكان لها مواقف من هذه الأحاديث.

ويمكن إبراز أهمّ السّمات في منهج أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- بالنسبة لسند الحديث.

١- التلقّي المباشر:

من المعروف أنّ هناك درجاتٍ في التلقي كالسماع والعرض والمناولة والإيجازة وغير ذلك. وقد حظيت أمّ المؤمنين- عائشة- رضي الله عنها-

---

(١) انظر: تهذيب الكمال، للمزني، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، م/ ٩٨.

بأعلى درجةٍ في منهج التلقي وهو السماع مباشرة، إذ إنّ معظم الأحاديث التي روتها، كانت ترويها مباشرةً عن النبي ﷺ، ممّا يجعل المتلقي في ثقة واطمئنانٍ بالنسبة لما صحّ عن رواياتها من أحاديث.

ولعلّ المرء في غنى أن يضرب مثلًا لهذه السّمة المنهجية، لغلبة هذه السمة في مرويّات أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها.

٢- الأمانةُ في النقل والضبط:

وهذه سمةٌ امتازت بها أمّ المؤمنين- رضي الله عنها- فلم تكن أمّ المؤمنين عائشة لتتّهم في نقل الأخبار عن رسول الله ﷺ أو غيرها، بل كانت تنقل ما حدثَ للرسول ﷺ، وما حدث به بكلّ أمانة. ولعلّ ما يؤيّد ذلك، ما قال ابن سعد: (كانت تتمتع بذكاء عظيم وسرعة فهم قال عروة: ربما روتْ عائشة القصيدةَ ستّين بيتًا والمائة بيت، كما حفظت الكثيرَ من الحديث النبوي، وكانت من المكثرين فيه.

ولم ينقَل عن أمّ المؤمنين- عائشة- أنها وهمتْ في النقل، وإن كان الصحابة لم يوافقوها في بعض المسائل، فإنّ سبب المخالفة لم تكن بسبب الوهم أو النسيان.

٣- روايتُها عن الثقة:

لم تروِ أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- إلّا عن الثقة في الأحاديث التي روتْها عن الصحابة، بل إنّها لم تكن تروي إلّا عن أكابر الصحابة أبي بكر وعمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص وفاطمة بنت النبي ﷺ، وغيرهم.

إذًا، فليست في سلسلة رواتِها ما يدفع للشكّ في هذه الرواية.

٤- اختيارُ الرّواة للتثبت:

كان من منهج عائشة- رضي الله عنها- اختيارُ الراوي في الحفظ لتقف على مبلغ ضبطٍ للحديث وتثبتيه فيه، من ذلك ما روي عنها أنها قالت لعروة بن الزبير: يا ابنَ أختي، بلغني أنّ عبد الله بن عمر مارًّا بنا إلى الحج، فالْقه، فسأله، قال عروة: فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله لا ينزع العلم انتزاعًا، ولكنْ ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناسٌ جهّال يستفتون فيفتون برأيهم، فيضلّوا ويُضلوا، فحدّث به عائشة- زوج النبيﷺ، ثمّ إنّ عبد الله بن عمرو حجّ بعد، فقالت: يا ابنَ أختي، انطلق إلى عبد الله فاستثبت لي منه الذي حدّثني عنه، فجئته فسألته به كنحْو ما حدثني، فأثبت عائشة، فأخبرتها، فعجبت، فقالت: والله لقد حفظ عبد الله بن عمرو(١).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر من الرأي. انظر: ١٣/ ٢٨٢، فتح الباري.

قال ابن حجر: قال القاضي عياض: "لم تهتمّ عائشة بعبد الله بن عمرو، ولكنها نسبته إليه أنه ممّا قرأه من الكتب القديمة، لأنه كان قد طالع كثيرًا منها، ومِن ثمّ قالت في رواية أخرى: «أحدّثك أنه سمع النبيﷺ يقولُ هذا؟»[1].

المطلبُ الثّاني: السّماتُ المنهجية الخاصة بالمتن:

يمكن إيجاز السّمات المنهجية الخاصّة بالمتن فيما يلي:

العرضُ على القرآن:

كان الصحابةُ يروون عن النبي ﷺ، وقد تسمع السيدةُ عائشة- رضي الله عنها- منهم أحاديثَ تراها لا تتّفق فهمًا لكتاب الله عزّ وجل، فتنكرُ على الصحابة ما سمعت من رواية، مبيّنة لهم سببَ الرفض والنقد، وهو العرض على القرآن الكريم.

مثالُ ذلك ما روي عن عروة بن الزبير، أنه قال: بلغ عائشة أنّ أبا هريرة يقول: إنّ رسول اللهﷺ قال: «لأن أقنع بسوط في سبيل الله أحبّ إليَّ من أنْ أعتق ولدَ الزنا»، وأنّ رسول الله ﷺ قال: «ولدُ الزنا شرّ الثلاثة»، وأنه قال: «الميّت يعذّب ببكاء الحي». فقالت عائشة: رحم الله أبا هريرة، أساء

(١) فتح الباري، ح١٣/ ٢٨٥.

سمعًا فأساءَ إجابة، أمّا قوله «لأنْ أقنع بسوط في سبيل الله أحبّ إليَّ من أن أعتق ولدَ الزنا»، فإنّها لمّا نزلت ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ، فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[1]، قيل يا رسول الله، ما عندنا ما نعتق، إلّا أنّ أحدنا له الجارية السوداء، تخدمه وتسعى عليه، فلو أمرناهنّ، فزنين، فجئنَ بأولاد فأعتقناهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «لأن أقنع بسوطٍ في سبيل الله أحبّ إليَّ من أن آمرَ بالزنى، ثمّ اعتق الولد».

وأمّا قوله: «ولد الزنى شرّ من الثلاثة»، فلم يكن الحديثُ على هذا، إنما كان رجلٌ من المنافقين يؤذي رسولَ الله ﷺ، فقال: «مَن يعذرني مِن فلان؟» قيل يا رسول الله: إنه مع ما به ولدُ زنى، فقال: «هو شرّ الثلاثة، والله تعالى يقول: ﴿لاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾»[2].

وقد أوضحتِ السيدة عائشة خطأ أبي هريرة- رضي الله عنه- معتمدةً على عرض هذه الأخبار على القرآن الكريم.

مثالٌ آخر: ردّ عائشة- رضي الله عنها- خبرَ رؤية النبيﷺ ربه.

---

(١) سورة البلد: ١١- ١٣.

(٢) أخرجه الحاكم، واللفظ له، في المستدرك على الصحيحين، كتاب العتق، باب ولد الزنا شرّ الثلاثة، ح٢/ ٢١٤، والبيهقي في السنن، كتاب الإيمان، باب ما جاء في ولد الزنا، ح١/ ٨٥.

فعنْ عكرمة عن ابن عباس قال: رأى محمدٌ ربّه. قلت: أليس الله يقول ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[١]. وقال: ذاك إذًا بنوره الذي هو نوره، وقال أريه مرّتين[٢].

وقد ثبتَ عن عائشة– رضي الله عنها– أنها روتْ هذا الخبر، فقد روي عن مسروق أنه دخل على عائشة أمّ المؤمنين، فقال لها: يا أمتاه، هل رأى محمّدٌ ربه؟ فقالت: لعمْرُ شعري ممّا قلت رأيتُ أنت مِن ثلاث مَن حدّثكهنّ؛ فقد كذب؟ أو من تكلّم بواحدة فقد أعظمَ على الله الفرية؛ أمّا الأولى فقالت: مّن حدّثك أنّ محمدًا رأى ربَّه، فقد كذب أو فقد أعظمَ على الله الفرية.

فقال مسروق: أنظريني ولا تعجليني، ألم يقلِ الله عزّ وجل ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾[٣]، ألم يقل ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾[٤].

فقالت: أنا أوّل هذه الأمّة سأل عن ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: إنّما هو جبريل، لم أره على صورتِه التي خلق عليها غير هاتين المرّتين، رأيتُه منهبطًا من

---

(١) الأنعام: من الآية ١٠٣

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب من سورة النجم. وقال الترمذي: هذا حديث حسن، ح٥/ ٣٩٥.

(٣) التكوير: ٢٣

(٤) النجم: ١٣

السماء، سادًّا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض، ثمّ قالت: أو لم تسمعْ أنّ الله يقول: ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[١]. أو لم تسمعْ أنّ الله يقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٢].

وبين أنّ السيدة عائشة- رضي الله عنها- ترفض القول برؤية النبي ﷺ مستدلّةً بالقرآن الكريم، مفسّرة الرؤية الواردة في سورة النجم، أنها رؤية جبريل- عليه السلام.

وبذا فهي تردّ الأخبار بعرضها على القرآن الكريم.

عرض الحديث على ما ثبت عندها من أحاديث روتْها عن النبي ﷺ بين الحديثين، والأمثلةُ على ذلك ما يلي:

- ما روي عن عبد الله بن عمر أنّه كان يقول: قبلة الرجل امرأته وجسّها بيده من الملامسة، فمَن قبّل امرأته أو جسّها بيده؛ فعليه الوضوء[٣].

(١) الأنعام: ١٠٣

(٢) الشورى: ٥١

(٣) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الطهارة، باب الوضوء من قبلة الرجل امرأته، واللفظ، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الطهارة، باب الوضوء من الملامسة، ج١/ ٢٤. وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الطهارات، باب مّن قال فيها الوضوء.

وهذا الحديث، قد روتْه السيدة عائشة- رضي الله عنها-، فعنْ هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنّها بلغها قولُ ابن عمر في القبلة الوضوء، فقالت: كان رسولُ الله ﷺ يقبّل وهو صائم، ثمّ لا يتوضأ[١].

وهنا روتِ السيدة عائشة- رضي الله عنها- حديثَ ابن عمر، حيث إنه جاء مخالفًا لما تعلمُه من السنة الصحيحة الثابتة عندها، وحيث لا يمكن الجمع بين الأمرين، ثمّ إن هذا أمرٌ لم يطّلع عليه أحدٌ إلّا هي.

مثالٌ آخر، روى أبو نهيك عن أبي الدرداء- رضي الله عنه-، أنّه خطب فقال: مَن أدركه الصبح فلا وترَ له. فذكروا ذلك لعائشة- رضي الله عنها، فقالت: «كذبَ أبو الدرداء، كان رسولُ الله ﷺ يصبحُ فيوتر»[٢].

فردّت السيدة عائشة- رضي الله عنها- قولَ أبي الدرداء، رضي الله عنه، لما ثبتَ عندها من فعل النبي ﷺ لأنّها قد اطّلعت على هذا الفعل دونَ غيرها.

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الطهارة، باب ما جاء في ترك الوضوء من القبلة، ج١/ ١٢٤- ١٢٥، والنسائي في كتاب الطهارة، باب ترك الوضوء من القبلة، ج١/ ١٦٤، وأبو داود، كتاب الطهارة، باب الوضوء من القبلة، ج١/ ١٦٨، وابن ماجة في كتاب الطهارة وسننها، باب الوضوء من القبلة، وأحمد في المسند، ج٦/ ٦٢ طبع المكتب الإسلامي، والحاكم في المستدرك، كتاب الطهارة، والدارقطني في سننه كتاب الطهارة.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الصلاة، باب مَن أصبح ولم يوتر، فليوتر ما بينه وبين أن يصلي الصبح، ج٢/ ٤٧٨ واللفظ له، وأخرجه عبد الرزاق في السند، كتاب الصلاة، باب فوت الوتر، ج١١/ ٤٦٠٣.

ومثالُه أيضًا، ما روي عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺقال: «لأن يمتلئ جوفُ أحدكم قيحًا ودمًا، خيرٌ له من أن يمتلأ شعرًا»[1].

ترفض السيدةُ عائشة هذه الرواية، وتروي روايةً أخرى، فعنها- رضي الله عنها- قالت: كان رسولُ الله ﷺ يضع لحسّان منبرًا في المسجد، فيقوم عليه، يهجو مَن قال في رسول الله ﷺ: «إنّ روح القُدس مع حسان، ما نافح عن رسول اللهﷺ»[2].

وترفضُ السيدةُ عائشة- رضي الله عنها- روايةَ أبي هريرة، رضي الله عنه، لأنّها خالفت ما وردَ من السنة الثابتة عندها، وسيرة النبي ﷺ، كما أنها ترى أنّ أبا هريرة لم يضبط الرواية.

عرضُ الحديثِ على العقل:

وكان من منهج عائشة- رضي الله عنها- أنها كانت تعرض الخبر على العقل، فإنْ وافق العقلَ قبلته، وإنْ خالف العقل رفضته، ولعلّ أمّ المؤمنين عائشة صاحبةُ سبقٍ في هذا الأمر، لما تمتّعت به من رجاحة عقل وذكاء حادّ.

---

(١) قال السيوطي في الجامع الصغير: حديث صحيح، رواه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود والترمذي وابن ماجة، وأحمد: الجامع الصغير، ص ٢٦١، طبع دار القلم للتراث، بيروت.

(٢) أخرجه أبو داود في السند، كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر ما لفظ له، وأخرجه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر.

مثالُ ذلك، ما روي عبد الرحمن بن حاطب عن أبي هريرة، أنه قال: من غسّل ميتًا اغتسل، ومَن حمله توضّأ، فبلغ ذلك عائشة- رضي الله عنها- فقالت: «أو نَجَسٌ موتى المسلمين، وما على رجلٍ لو حمل عودًا»[(١)].

فالسيدةُ عائشة- رضي الله عنها- تعرضُ قولَ أبي هريرة على العقل، وأنه لا علّة تجعل المرء يتوضّأ من حمل الميت، فهذا أمر يتسامى مع العقل، ولذا رفضت قولَ أبي هريرة.

ومثالٌ آخر، وهو أنّ السيدة عائشة- رضي الله عنها- روتْ ما روي عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ بلالًا يؤذّن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابنُ أمّ مكتوم»[(٢)].

فقد أخرج البيهقي في سنّنه عن عائشة، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ ابن أمّ مكتوم رجلٌ أعمى، فإنْ أذّن فكلوا وأشربوا حتى يؤذن بلال». قالت: «وكان بلال يبصرُ الفجر، وكان عائشة تقول: «غلط ابن عمر»[(٣)].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المسند، واللفظ له، كتاب الجنائز، باب مَن غسل ميتًا اغتسل وتوضأ، والبيهقي، كتاب الطهارة، باب غسل مَن غسل ميتًا، ج١/ ٣٠٧، والحاكم والبيهقي في غسل مَن غسل ميتًا.

(٢) أخرجه البيهقي في صحيحه، كتاب الصيام، ج٢/ ٢٣٩.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ج١/ ٣٨٢، وأحمد في المسند، ج٦/ ١٨٥- ١٨٦.

فقد بيّنت السيدة عائشة غلطَ ابن عمر- رضي الله عنه- في روايته، وأتت بالروايةِ الصحيحة عندها، ورجّحتها بالعرض على العقل، وأنّ مؤذن الفجر ينبغي أن يكون بصيرًا ليرقب طلوع الفجر، لتعلن هذا الأمر بالأحكام الشرعية، فكان الأولى أن يكون بلال هو مؤذّن الفجر، لا ابن أمّ مكتوم.

الغفلةُ عن سبب الورود:

كان من منهج أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- ردُّ الحديث من الصحابي إذا لم يعلم الصحابي سببَ ورود الحديث، وعندها السبب.

مِن ذلك، ما سبقَ من إنكارها أنّ الميت يعذّب ببكاء أهله.

وواضح أنّ السيدة عائشة- رضي الله عنها- ردّت ما كان أمهات المؤمنين، رضي الله عنهنّ، نوينَ أن يفعلْنَه، وما أنكره الناس عليها من عدم الصلاة على الميّت في المسجد، وحكمت بنسيانهم، مدلّلة على ما تقول بما روت من حديث النبي ﷺ وفعله.

وبذا فقد كانت عائشة- رضي الله عنها- ترفض بعضَ الأحاديث إذا علمت نسيانَ الرواة، وهي بذا، تتّخذ التثبت من صحة الرواية سمةً منهجية في قبول الحديث.

العملُ بالرواية:

كانت عائشة- رضي الله عنها- تعمل بما روتْ من أحاديث، ولم تكن روايتُها للحديث مجرّدَ نقل، بل يمكن اعتبار ما روتْه من أحاديث تمثيلًا لفقهها- رضي الله عنها.

ولا عجبَ في إثبات هذا الأمر؛ لأنّ كثيرًا ممّن رووا الحديث قد لا يعملون به، إذ كان كلّ جهدهم في الحديث النقل، فلا يشترط أن يكون الراوي فقيهًا، فربّ حامل فقهٍ لا فقهَ له. ومن أمثلة ذلك أنّها كانت لا ترى القبلة مفسدة للصيام، وقد روتْ في ذلك الحديث: «كان رسول الله ﷺ يقبّل وهو صائم ولا يتوضأ»[١].

تعقيب:

ولا يعني بعد ذكر مَقاييس النقد الداخلي عند عائشة- رضي الله عنها- أنّ كلّ ما قالته صواب، فقد كانت بشرًا، وتجتهد فتخطئ وتصيب، ولا يعني ترجيحًا لبعضِ الأحاديث ورفضها للبعض أنّ الأحاديث المرفوضة ينبغي أن تحذف من كتب السنة؛ فكثيرٌ من الأحاديث التي رفضتها صحيحة.

ولعلّ بعض الصحابة قد اطّلعوا ما لم تطّلع عليه، فهي لم تحطْ علمًا بكلّ أحاديث الرسول ﷺ وأفعاله، بل غاب عنها بعضُ ذلك.

(١) سبق التخريج.

وليس المجالُ هنا عن الصحة والخطأ، وإنما أوردت عرض منهجٍ في قبول أو رفض الأحاديث، وما تميزت به من سمات منهجية بالنسبة لها.

وذلك أنّ راوي الحديث- وهو ابن عمر- لم يعرف سببَ ورود الحديث، فذكر الحديثَ دون معرفة سببِ الورود، وبيّنت أنّ الحديث ورد في يهوديةٍ ماتت، وهي تعذّب في قبرها بسبب كفرها، ورأى الرسولﷺ أهلها يبكون عليها، فقال ﷺ: «إنّهم يبكون عليها، وإنها لتعذب في قبرها»[1].

وكذلك حديث «ولد الزنا شرّ الثلاثة»، وقوله ﷺ"لأن أقنع بسوطٍ في سبيل الله أحب إليَّ من أن أعتق ولد الزنا»[2].

وقد رفضتِ السيدةُ عائشة- رضي الله عنها- وبينت أن الخطأ نتيجة الجهل بسبب ورود الحديث، وهي في هذا كلّه لا تتّهم أحدًا من الصحابة بالكذب، لكنها توضّح علّة الرفض.

النّسيان:

تمتّعت أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- بذاكرة قوية، فكانت قلّما تنسى، وكان كثيرٌ غيرها ينسون أشياء، فتذكّرهم هي، مثال ذلك ما رواه

(١) سبق التخريج.

(٢) سبق التخريج.

عروة عن عائشة- رضي الله عنها- أنّ أزواج النبي ﷺ حين توفّي رسولُ الله ﷺ أردن أن يبعثنَ عثمان إلى أبي بكر، يسأله ميراثهنّ، فقالت عائشة: «أليس قال رسولُ الله ﷺ: لا نورّث، ما ترَكْنا صدقة؟»[1].

ومثالُه أيضًا ما رواه عبد الله بن الزبير أنّ عائشة أمرتْ أن يمرّ بجنازة سعد بن أبي وقاص في المسجد، فتصلّي عليه، فأنكر الناسُ ذلك عليها، فقالت: «ما أسرع ما نسي الناس، ما صلّى رسول الله ﷺ على سهيل بين البيضاء إلّا في المسجد؟»[2].



(١) أخرجه البخاري، كتاب الفرائض، باب لا نورث ما تركنا صدقة، ومسلم في الجهاد والسير.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الجنائز، ورواه الأربعة في الجنائز.

المبحثُ الثّالث: منهجُ السيدة عائشة في الفقه

ويشمل:

١– القرآن الكريم، وموقفها منه.

٢– السنة النبوية.

٣– القياس.

٤– الاجتهاد.

٥– بين الافتراض وواقعية التفكير.

٦– الرأي بين الخطأ والصواب.

٧– الرأي بين التطبيق والإلزام.

٨– المصلحة والنصوص.

٩– سمات أخرى للمدرسة الفقهية لديها.

المنهجُ الفقهي:

تميّزت أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- بمَلكةٍ فقهية، وقد عُرفت عنها كثرةُ ما وردَ عنها من مسائل فقهية، وضح فيها ظهورُ الشخصية، حتى اشتهرت بذلك، فكان كثيرٌ من الصحابة يرجعون إليها فيما أشْكِل عليهم من مسائل الفقه، بل تلقّى كثيرٌ منهم عنها الفقه، ولذا قال عنهم عطاء: كانت عائشة أفقهَ الناس[١].

وقال الذهبي: "أفقه نساء الأمّة على الإطلاق[٢].

إذًا، فأمّ المؤمنين- عائشة رضي الله عنها- صاحبة فقه، ولا يعني ذلك مجرّد حملها لبعض مسائل الفقه، وإن كثرت، ولكنّها صاحبة منهج فقهي أصيل، فما هذا المنهج الذي كانت تسير عليه أمّ المؤمنين- عائشة رضي الله عنها- في الفقه، ذلك الذي يرسم معالم الشخصية الفقهية؟

وممّا لا شكّ فيه أنّ المنهج الفقهي مبني على أصول الفقه، وندر أن يذكر اسم أصول الفقه مع المرأة، إذْ هو كما يقول: علم الرجال، لكن عند التدقيق

(١) تهذيب التهذيب، لابن حجر، ج١٢/ ٤٣٥، ويروي هشام بن عروة عن أبيه قال: ما رأيت أحدًا من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال وحرام..... من عائشة- رضي الله عنها-.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٩٨.

ثبتَ أنّ هناك نساء لهنّ نصيب في أصول الفقه، من هؤلاء أمّ المؤمنين عائشة– رضي الله عنها.

لم تكن أمّ المؤمنين عائشة– رضي الله عنها – تعرف معنى أصول الفقه، ولم تطّلع على ما كتبه الأصوليون فيه، لكنها قد استخدمت أصول الفقه استعملته في حياتها العلمية، ولاسيّما في مجال الفقه، وهذه بعض الدلائل على ذلك:

معالمُ المنهجِ الفقهي والأصولي عند عائشة:

وتتحدّد معالم المنهج الفقهي عند عائشة فيما يلي:

المَصادر:

أولًا: القرآنُ الكريم:

فقد كانت لعائشة– رضي الله عنها– صولاتٌ وجولات مع القرآن الكريم فقد كانت أوّل ما تفتي به إذا عرضَ عليها السؤال. من ذلك عن سعد بن هشام أنه دخل على أمّ المؤمنين عائشة قال: إني أريدُ أن أسألك عن التبتل، فما ترين فيه؟ قالت: فلا تفعل، أمَا سمعت قولَ الله– عزّ وجل– ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾[١] فلا تتبتل[٢].

(١) الرعد: ٣٨

(٢) رواه الترمذي، أبواب النكاح، باب ما جاء في النهي عن التبتل، ج٢/ ٢٨٤، ورواه أحمد في المسند، ج٦/ ١١٢، طبع المكتب الإسلامي، التبتل: الانقطاع، وترك النكاح. وامرأة متبتلة: منقطعة عن الرجال، ولا شهوة لها فيهم، وبها سميت مريم أمّ المسيح [النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج١/ ٩٤].

وفي فتوى لعائشة- رضي الله عنها- عن حرمة التبتل دلالةٌ على كيفية استنباطها من القرآن ما يوافق الجواب، فليس في الآية نهيٌ صريح عن التبتل، لكن لما تتمتّع به عائشة من عقلية فذّة، استدلّت بما أخبر الله- عزّ وجل- رسولهﷺ أنّ الأنبياء قبله كان لهم أزواج وذرية، وهذا دليل على أنهم كانوا بعيدين عن التبتل. وعائشة- رضي الله عنها- تفهمُ أنّ الأنبياء لم يكونوا كلهم متزوّجين، فعيسى ويحيى- عليهما السلام- لم يكونا متزوّجين، ولكن ليس هذا هو الأصل، وبذا تنفُذ عائشة إلى حالة المستفتي لتجيب على ما يناسبه، وفي مراعاة حال المستفتي دلالةٌ على فقهها.

ومثالُه- أيضًا- ما روي عن أبي مليكة عن عائشة، قالت: قال لها رجل: إني أريد أن أوصي. قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف. قالت: فكم عيالك؟ قال: أربعة؟ قالت: فإن الله يقول: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾[١] وإنه شيء يسير، فدعه لعيالك، فإنه أفضل[٢].

وفي إجابة عائشة- رضي الله عنها- دليلٌ على ملكتها الفقهية، فهي تستفسر عن حال المستفتي، ثمّ تجيب بعد ذلك بالقرآن الكريم، وإن لم يكن هناك مانعٌ

(١) البقرة: ١٨٠.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الوصايا، باب في الرجل يكون له المال الجديد القليل أيوصي فيه؟، رقم (١٠٩٩٣)، ج١١/ ٢٠٨، واللفظ له، كما رواه البيهقي في كتاب الوصايا، باب مَن استحبّ ترك الوصاية إذا لم يترك شيئًا كثيرًا، استبقاءً على ورثته، ج٦/ ٢٧٠.

من الوصية، إلّا أنها رأت أنّ التركة قليلة، وأولاده أحقّ بها، فاستشهدت بالقرآن أن الوصية إنّما تكون إذا ترك الرجل المال الكثير، وهي بهذا تتعامل مع نصوص القرآن بما يناسب الواقع، ولا تجعل بين القرآن والواقع فصلًا، فإنّ ما أتى به القرآن من شرائع؛ فيه تيسيرٌ لمصالح الناس.

وبذا، فعائشة- رضي الله عنها- لا تقف جامدةً أمام النص، بل تعمل عقلَها لتفهم ما يحمل النصُّ القرآني من دلالات قد تخفَى على كثيرٍ من الناس، وهذا هو دور الفقيه.

وقد كانت الفتوى تردُ من الصحابة- رضوان الله عليهم- فتردّها عائشة، رضي الله عنها، لما بدا لها من القرآن خلف ذلك، مثالُ ذلك تعذيب الميت ببكاء الحي، فقد بلغ عائشة- رضي الله عنها- أنّ أبا هريرة وابن عمر وعمر- رضي الله عنهم- كانوا يرون تعذيب الميت ببكاء أهله عليه، ورووا في ذلك أحاديث، فنفتْ عائشة- رضي الله عنها- صحّةَ هذه الأحاديث غير مكذّبة لهم، مستدلّة بالقرآن الكريم، كقوله تعالى ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[2]، ثمّ إنها توضّح سبب ورود الحديث من أنّ الرسول ﷺ قاله لمّا ماتت امرأة يهودية، كما أوضحت الرواية بصوابها[3].

(١) الإسراء: ١٥

(٢) البقرة: ٢٨٦

(٣) انظر: المستدرك للحاكم، كتاب العتق، باب ولد الزنا شرّ الثلاثة، ج٢/ ٤١٤، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الإيمان، باب ما جاء في ولد الزنا.

كما حكمتِ السيدةُ عائشة– رضي الله عنها– بخطأ الطيرة من المرأة والدار والفرس بأنّ هذا يناقضه قولُ الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(١).

ومثلُ ذلك موقفها من رؤية النبيﷺ ربَّه، وأنه لم يره، مستدلّة بقوله تعالى ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(٢).

ثانيًا: السّنةُ النبوية:

كانت السيدة عائشة– رضي الله عنها– واحدةً ممّن أكثروا رواية الحديث عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهُم: أبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعائشة وجابر بن عبد الله.

وعدّها الإمامُ ابن حزم في الرّتبة الرابعة في رواية الحديث، وهي الأكثر روايةً من أمّهات المؤمنين، تأتي بعدها أم سلمة.

قال الذّهبي: مسندُ عائشة يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، اتّفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين(٣)

(١) الحديد: ٢٢. والحديث في سنن الإمام أحمد، ج٦/ ١٥٠.

(٢) الأنعام: ١٠٣.

(٣) سير أعلام النبلاء: 139/2.

ويبلغ مسندُ أمّ سلمة: ٣٧٨ حديثًا[١].

مؤلّفاتٌ في مرويّات عائشة:

وقد جمع لها الإمامُ أحمد بن حنبل في مسنده ٢٤٠٥ حديثًا، وتقعُ مروياتها في المجلد السادس منه فقط في مائتين وثلاث وخمسين صفحة من الطبعة المصرية، بحيث لو جُمعت في صحيفة مستقلّة لخرجت في شكل كتاب ضخم.

وقد اعتنى الباحثون والدارسون بمسندها رضي الله عنها من الحديث جمعًا وتحقيقًا ودراسة وتخريجًا، من ذلك على سبيل المثال:

- مسند عائشة رضي الله عنها، تأليف أبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني(ت ٣٠٦)، رواية عبيد الله بن محمد بن حبان(ت ٣٨٩)، دراسة وتحقيق عبد الغفور عبد الحق حسين، الكويت.
- مسند عائشة، رضي الله عنها، من كتاب مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق ودراسة وتخريج عبد الغفور عبد الحق حسين، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، رسالة دكتوراه.
- مسند أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، من كتاب المسند للإمام أحمد، تحقيق إبراهيم عبد الفتاح حليبة رسالة ماجستير، تحقيق القسم الثاني منه.

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢١٠، الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢/ ٣٧٥.

- مسانيد أمّهات المؤمنين من جوامع الكبير في الحديث، للحافظ السيوطي، صحّحه وعلّق عليه محمد غوث الندوي، وقدمه مختار أحمد الندوي، بومباي ١٤٠٣هـ[1].

وقد اعتمدت أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- في فتاويها على السنة النبوية، وما تشمل من قول، أو فعل، أو تقرير النبي- صلى الله عليه وسلم-، بل كان لعائشة، رضي الله عنها، موقفُها المتميز بالنسبة للسنة النبوية، ولاسيّما روايتها لكثيرٍ من الأحاديث فهي تعدّ من المكثرين لرواية الحديث كأبي هريرة وعبد الله بن عمر، وغيرهما.

مقاييسُ السيدة عائشة في الحديث:

عرضُ الحديث على القرآن الكريم:

فقد كانت السيدةُ عائشة تعرض الحديثَ على القرآن الكريم باعتبار القرآن هو المصدر، وهو الضابط للتأكّد من رواية الحديث على الوجه الصحيح.

ومثالُ ذلك حديث: «إنّ الميت ليعذّب ببكاء أهله عليه»، وردّته بالآية.

---

(١) راجع: عائشة رضي الله عنها.. رائدة المحدّثات رواية ودراية، د. رقية آيت الدوش، جريدة ميثاق الرابطة المحمدية، العدد ٥٢ بتاريخ: ١٠-٢-٢٠١١م/١٦-٦-٢٠١١م.

وهذا لا يعني أنّها تكتفي بالقرآن دون السنة، فالأمر كما قال الدميني في تعليقه على قول عائشة: «حسبكم القرآن»، هذا لا يعني أنها تكتفي بالقرآن عن السنة؛ هذا محال، لكنها تريد أنّ القرآن يكفي دليلًا على تخطئة راوي هذا الحديث بهذا اللفظ، ذلك أنّ ناقله لم يأتِ به كاملًا كما قاله رسول الله ﷺ، بل روى بعضَه ممّا أوقع في هذه المعارضة لكتاب الله عز وجل، وجعل أمّ المؤمنين تردّ عليه ببيان النصّ الكامل الذي تلفّظ به الرسول ﷺ[١].

النظرُ العقلي في نقدِ الحديث:

وكان من منهج السيدة عائشة- رضي الله عنها- أنها كانت تستعمل المقياس العقلي في نقد الحديث، من ذلك:

ما وردَ عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: «مَن غسّل ميتًا اغتسل، ومَن حمله توضّأ»، **فبلغ ذلك عائشة- رضي الله عنها- فقالت:** «أو نجسٌ موتى المسلمين؟! وما على رجل لو حمل عودًا؟»

أمثلةٌ في اعتماد عائشة على السّنة:

وإليك بعضُ الأمثلة على اعتماد عائشة- رضي الله عنها- على السنة في فتاويها:

---

(١) مقاييس نقد متون السنة، مسفر غرام الله الدميني، ص: ٦٣، طبعة خاصة بالمؤلف، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ.

١- قبلةُ الرجل امرأتَه، هل تنقض الوضوء وتفسد الصيام؟:

كانت السيدة عائشة- رضي الله عنها- ترى أنّ قبلةَ الرجل امرأته غير ناقضةٍ للوضوء، ولا مُفسدة للصيام، وتعتمد في فتواها هذه على ما روته عن رسول الله ﷺ قالت: «كان رسولُ الله ﷺ يقبّل وهو صائم ولا يتوضأ»[1].

فهي تعتمدُ على فعل الرسول ﷺ، إذ كان الرسول ﷺ يقبّل وهو متوضئ، وهذا دليلٌ على أنّ القُبلة غير ناقضة للوضوء، ولا مُفسدة للصيام، بل روت أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- ما ورد من أخبار خلاف ذلك.

٢- هل يشترطُ في غُسل المرأة أنْ تنفض شعرَ رأسها:

ترى عائشة- رضي الله عنها- أنه لا يشترط على المرأة في الغسل أن تنفضَ شعرَ رأسها، بل يكفيها أن تفرغ المرأة على رأسها ثلاث إفراغات ماء، ودليلُها في الفتوى أنها كانت تصنع ذلك عندما كانت تغتسلُ هي ورسول الله ﷺ.

---

(١) رواه الدارقطني في كتاب الطهارة، باب صفة ما ينقض الوضوء، وما روى عن الملامسة والقبلة، سنن الدار قطني، ج١/ ١٣٦، واللفظ له، كما رواه بألفاظٍ متقاربة الترمذي في السنة، كتاب الطهارة، باب ما جاء في ترك الوضوء من القبلة، أبو داود في الطهارة، باب الوضوء من القبلة، والنسائي كتاب الطهارة، باب ترك القبلة، وابن ماجة في كتاب الطهارة وسننها، باب في الوضوء من القبلة، وأحمد في المسند، ج٦/ ٦٢، والحاكم في كتاب الطهارة، باب الدليل على أنّ اللمس ما دون الجماع.

فيروي عبيد بن عمر عنها أنّها قالت: «.... لقد كنت أغتسلُ أنا ورسول الله ﷺ من إناءٍ واحد، ولا أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات»[1].

وبذا، فقد اعتمدتْ عائشة- رضي الله عنها- على إقرار الرسول ﷺ لفعلها في فتواها هذه.

٣- هل تجوزُ الصّلاةُ على الميت في المسجد؟

ترى عائشة- رضي الله عنها- جوازَ الصلاة على الميت في المسجد، خلافًا لكثيرٍ من الصحابة، لكنها تعتمد هذه الفتوى بفعل النبي ﷺ، إذ صلّى النبيﷺ على سهيل بن البيضاء في المسجد، وفي ذلك يروي عبد الله بن الزبير أنّ عائشة أمرت أنْ يمرّ بجنازة سعد بن أبي وقاص في المسجد، فتصلّي عليه، وأنكر الناس عليها، فقالت: ما أسرع ما نسي الناس، ما صلّى رسول اللهﷺ على سهيل بن البيضاء إلّا في المسجد؟[2].

(١) رواه مسلم واللفظ له، كتاب الطهارة، باب حكم ضفائر المغتسلة، ج٤/ ١٢، ورواه ابن ماجة، كتاب الطهارة، باب ما جاء في غسل النساء من الجنابة، ج١/ ١٩٨، وأحمد في المسند، ج٦/ ٤٣، وأبو عوانة في مسنده في الطهارة، باب الإباحة للحائض، وترك نقض ضفر رأسها للاغتسال إذا وصل الماء إلى شئون رأسها، ج١/ ٣١٥، طبع دار المعرفة، بيروت.

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنائز، باب الصلاة على الجنائز في المسجد، ج٧/ ٣٨، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الجنائز في المسجد، ج٣/ ٥٣٥، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على الميت في المسجد، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم، ج٣/ ٣٤٢، والنسائي، الجنائز، باب الصلاة على الجنازة في المسجد، ج٤/ ٦٨، وابن ماجة في الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على الجنائز في المسجد، ج١/ ٤٨٦.

٤- هل المرأةُ تقطعُ الصّلاة؟

ترى عائشة- رضي الله عنها- أنّ المرأة لا تقطعُ الصلاة، ولا يعني هذا تحيّزها لجانب النساء لأنّها منهنّ، فإنّ ذلك دين الله، وما كان لعائشة- رضي الله عنها- لتفتي بما تهوى، ولكنّ عائشة- رضي الله عنها- اعتمدت على إقرار الرسولﷺ وفعله، ولذا تنكر على مَن قال: إنّ المرأة تقطع الصّلاة. فعن مسروق عن عائشة: ذكر عندها ما يقطع الصلاة: الكلب والحمار والمرأة، فقالت: أشبهتمونا بالحمر والكلاب؟! والله، لقد رأيتُ النبيﷺ يصلي، وإنّي على السرير بينه وبين القِبلة، مُضجعَة، تبدو لي الحاجة، فأكره أنْ أجلس، فأوذي رسول الله ﷺ فأنسلّ من عند رجليه"[١].

وبذا، فقد كانت السيدةُ عائشة- رضي الله عنها- تعتمد السنة النبوية، سواء كانت قولًا أو فعلًا أو تقريرًا من النبي ﷺ وتجعلها من منهجها في الفتاوى الصادرة عنها.

٥- إذا أدرك الرجلُ الصبح، ولم يوتر؛ فهل يجوزُ له الوتر؟

ترى عائشة- رضي الله عنها- أنه إذا أدرك الرجلُ الصبحَ ولم يوتر، فليوتر، خلافًا لبعض الصحابة الذين أفتوا بعدم الجواز، وتستدلّ السيدة

---

(١) رواه البخاري، واللفظ له، كتاب الصلاة، باب مَن قال لا يقطع الصلاة شيء، ج١: ٧٠٠، ورواه مسلم، كتاب الصلاة، باب سترة المصلي، ورواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب مَن قال المرأة لا تقطع الصلاة، ورواه أحمد في المسند، ج٦/ ٢٣٠.

عائشة- رضي الله عنها- لفتواها بفعل النبيﷺ؛ ففي مسند أحمد بسنده: أخبر أنّ أبا الدرداء كان يخطب الناس أنْ لا وترَ لَمن أدرك الصبح، فانطلق رجالٌ من المؤمنين إلى عائشة فأخبروها؛ فقالت: كان رسولُ الله ﷺ يصبح فيوتر(١).

ثالثًا: القياس:

بالطبع لم تكن أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- تعرف شيئًا يسمى القياس كمصطلحٍ أصولي، وكما عرفه الأصوليون، وما وضعوا له من شروط إذ لم تظهر هذه الاصطلاحات إلّا بعد تأليف الرسالة للشافعي فيما بعد، لكن المتتبع لفقه السيدة عائشة- رضي الله عنها- ليدرك أنها كانت تستخدم القياسَ فيما ورد عنها من الفتاوى.

مثالُ ذلك، ما روي عنها أنّها كانت لا ترى المرأة تقطع الصلاة، وتنكرُ على مَن قال بذلك، فلأنه في ذلك تشبيهٌ وقياسٌ للمرأة على الحمر والكلاب، وهو قياس باطل، ولذا قالت «شبهتمونا بالحمر والكلاب»(٢).

---

(١) مسند أحمد، ج ٦ / ٢٤٦، وبألفاظ أخرى في ص ١٥٠ و ٢٤٠، ورواه البيهقي، كتاب الصلاة، باب مَن أصبح ولم يوتر فليوتر ما بينه وإن يصلي الصبح، ج٢/ ٤٧١، ورواه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الصلاة، باب فوت الوتر، ج١/ ٤٦٠٣.

(٢) سبق التخريج.

ولذا فهي لا تجد علّة جامعة بين الحمر والكلاب وبين النساء، حتى تفتي بأنّ المرأة تقطع الصلاة فتحكم ببطلان هذه الفتوى، معتمدة على القياس.

ومثاله- أيضًا- ما رواه جرير عن قابوس قال: «قالت امرأة: يا أمّ المؤمنين، إنّ لنا أظآرًا من المجوس، وإنه يكون لهم العيد فيهدون لنا، قالت: أمّا ما ذبح لذلك فلا تأكلوا، ولكن كلوا من أشجارهم»[1].

فهنا تعتمدُ عائشة- رضي الله عنها- بحلّ ثمار أشجارهم، دون ما ذبحوا، لمفارقة القياس، إذ ليس هناك علّة جامعة بين الأمرين.

وبذا، فقد كانت السيدةُ عائشة- رضي الله عنها- تستعمل القياس في فتاويها، دون معرفة لشرائطه التي وضعها الأصوليون فيما بعد.

رابعًا: المصلحةُ والنصوص:

قد يظَنّ لأوّل وهلة أنّ هناك مقابلة بين المصلحة والنصوص الشرعية، ولكن الأمرَ خلافُ ذلك، فإنّ هناك نصوصًا كثيرة تدلّ على أنّ الشرعية لم توضع أصلًا إلّا لصالح العباد، ففكرة المصلحة مراعاة في أصل وصنع الشريعة، وينبني على هذا تشريعاتها كلّها تدور في هذا المجال، وقد لا يستطيع

(١) تفسير القرطبي، ج٢/ ٢٢٤، ورد هذا الحديث عن تفسير قوله تعالى (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به)، (البقرة: ١٧٣) وأورده ابن كثير في تفسير الآية، والتفسير للقرطبي، ج١/ ٢٠٦.

العقل البشري أن يدرك كلّ ما وراء النصوص التشريعية من مصالح عاجلة وآجلة[1].

ولكنْ ما الداعي لاعتبار المصلحة، إذا كانت النصوص قد تكفلت مصالح العباد؟ الداعي هو أنّ النصوص تحتاج عند تطبيقها في كلّ عصر إلى جهود كبيرة لمحاولة تحرّي المصلحة في كلّ مسألة، وهل هي خاصة أو عامة؟ وهل ألغاها الشارعُ أم لا؟ وما الذي يتوقّف عليها من أحوال الناس؟ وما هي الأسس التشريعية العامة التي يرجع إليها فيها؟ وهل هناك ما يمكن أن تقاس عليه ممّا جاءت به نصوص أو وقائع عصر الرسالة، من حيث الحكمة والهدف، إن لم يكن من صبّ الوصف والعلة[2].

وموقفُ عائشة من المصلحة والنصوص، أنها لم تكن تقف عند ظاهر النصوص في أغلب الأحيان، بل كانت تنظر المصلحة، فإنها وإن كان النص عندها، لكنّها تحاول تحري المصلحة من خلاله، ومثال ذلك، أنها قالت: إنّ الرسولﷺ لم يمنع النساء من الصلاة في المسجد لحضور الجماعة، وقد كان النساء يفعلنَ ذلك في عهد النبي ﷺ، لكنها لمّا رأت تغيّر الظروف ترى منع

(١) منهج عمر بن الخطاب في التشريع. لأستاذنا الدكتور محمد بلتاجي، دار الفكر العربي، طبعة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ من ٤٦١.

(٢) المصدر السابق ص ٤٦١- ٤٦٢.

النساء من الخروج إلى المساجد من باب المصلحة وسدّ الذرائع، ولذا يروى عنها قولُها: لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساءُ لمنعهنّ من الخروج إلى المساجد(1).

خامسًا: سدّ الذرائع:

راعت أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- سدّ الذرائع في بعض فتاويها، فقد استخدمته في فقهها، كما هو واضح- مثلا- من رفضها خروج النساء إلى المساجد، لما أبدلوا من حالهنّ كما كان على عهد الرسول ﷺ، ولذا، فهي ترى أنّ الرسول، صلى الله عليه وسلم، لو رأى ما صنع النساء لمنعهنّ من الخروج إلى المساجد، وغير ذلك كثير.

دلالاتُ الألفاظ

المطلقُ والمقيّد

استعملت عائشة- رضي الله عنها- تقييدَ المطلق، وبرز ذلك في مسألة تعذيب الميّت ببكاء الحي، فقد رفضت ذلك الرأي، وسندها في ذلك أنها فهمت تقييد الحكم كما جاء في الحديث، والصحابي قد حكم بالإطلاق.

والأحاديثُ في ذلك رواها الإمام البخاري أخرجها البخاري في صحيحه، قال عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة: توفّيت ابنة لعثمان- رضى الله عنه-

(1) المحلى، لابن حزم، ج٣/ ٣٩- ١٤٠.

بمكة وجئنا لنشهدها، وحضرها ابن عمر وابن عباس- رضي الله عنهم- وإني لجالس بينهما.. فقال عبد الله بن عمر- رضى الله عنه- لعمرو بن عثمان: ألا تنهى عن البكاء؟ فإنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الميت ليعذّب ببكاء أهله عليه». فقال ابن عباس- رضى الله عنه-: قد كان عمر- رضى الله عنه- يقول بعضَ ذلك.

ثمّ حدث قال: صدرت مع عمر- رضي الله عنه- مِن مكّة حتى إذا كنا بالبيداء إذا هو بركب تحت ظلّ سمرة، فقال: اذهب فانظر من هؤلاء الركب. قال فنظرت فإذا صهيب، فأخبرته فقال: ادْعه لي. فرجعت إلى صهيب، فقلت: ارتحل فالْحَق أميرَ المؤمنين. فلمّا أصيب عمر، دخل صهيب يبكي يقول: وا أخاه وا صاحباه. فقال عمر- رضى الله عنه-: يا صهيب، أتبكي عليَّ وقد قال رسول الله ﷺ: «إنّ الميت يعذّب ببعض بكاء أهله عليه»؟

قال ابن عباس- رضى الله عنه-: فلمّا مات عمر، رضى الله عنه، ذكرت ذلك لعائشة- رضى الله عنها-، فقالت: رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله ﷺ: «إنّ الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه»، ولكن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله ليزيد الكافر عذابًا ببكاء أهله عليه». وقالت: «حسبكم القرآن»: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[1].

(١) صحيح البخاري، ج١/ ص: ٤٣٢، رقم ١٢٢٦.

ولا يظنّ أنّ السيدة عائشة- رضي الله عنها- كذّبت أحدًا من الصحابة، أو ردّت الحديث، ولكنها قيّدت الثاني بالأول، واستشهدت في ذلك بالقرآن الكريم، ويبدو أنّ ابن عمر كان يتحدّث عن قصة أخرى.

الاجتهادُ والتّقليد

الاجتهاد:

تميّز الفقه الإسلامي بمرونته، وقابليتِه للاجتهاد، وذلك منذ عصر الرسالة، فقد كان الصحابة يجتهدون في وجودِ النبي ﷺ، وكانوا يثابون على اجتهادهم، إذا لم يكن هذا الاجتهاد مخالفًا لنصّ شرعي من الكتاب والسنة، وقد عُرف من السيدة عائشة- رضي الله عنها- اجتهاداتها التي يبرز الشخصية الفقهية التي تستطيع أن تستنبط الأحكام من خلال النصوص، ولم يكن اجتهادها معروفًا في عصر الصحابة، بل كانت تجتهد في وجود الرسول ﷺ، فعنْ أبي هريرة قال: قالت عائشة: يا رسول الله، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[1]، أهو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه؟ فقال: لا، ولكن من يصوم ويتصدّق وهو وجل"[2].

ولا يظنّ أنّ السيدة عائشة- رضي الله عنها- وقفت درجة الاجتهاد عنها فيما لا نصّ فيه، بل كانت تجتهد عند وجود النّص، وقد سبقت الإشارة إلى

(١) المؤمنون: ٦٠.

(٢) الدر المنثور، للسيوطي، ج٦/ ١٠٥.

الحديث الذي رواه أبو مليكة عنها قالت: قال لي رجل: إني أريد أنْ أوصي، قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف. قالت: فكمْ عيالك، قال: أربعة. قالت: فإنّ الله يقول:]إِن تَرَكَ خَيْرًا[وإنه شيء يسير فدعْه لعيالك أفضل[1].

فهي، وإنْ كانت اعتمدت في فتواها على القرآن، فإنها اجتهدت في تطبيق النّص القرآني على الواقعة، إذ ترى أنّ ما ترك الرجل من أموالٍ أولادُه أحقّ بها، وأمرتْهُ ألاّ يوصي، وهي بذلك مُجتهدة مع وجود النص.

وهي- بالطبع- لها اجتهاداتٌ مع عدم وجود النص، ومن ذلك حينما سئلت عن أكثر مدّة الحمل، قالت: لا يكون الحملُ أكثر من سنتين، قدر ما يتحوّل ظلّ مغزل[2].

وظاهر أنّ أمّ المؤمنين عائشة تعتمد على الاجتهاد في فتواها، إذا لم يرد في أكثر مدى للحمل نصّ من الكتاب والسنة، فتجتهد وتجعله سنتين.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الدارقطني، كتاب النكاح، ج٣/ ٣٢٢، واللفظ له، ورواه البيهقي في السنن الكبرى، باب ما جاء في أول الحمل، ج٧/ ٤٢٣، وروح المعاني، للألوسي، ج١٣/ ١٠٩، والدر المنثور، ج٤/ ٦٠٩، وتفسير القرطبي، ج٣/ ٣١٦. مغزل: ما يغزل به الصوف والقطن ونحوهما يدويًّا وآليًّا: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، ج٣/ ٣٦٥، لسان العرب، لابن منظور، ج٥/ ٣٢٥٢، المعجم الوسيط، ج٢/ ٩٥٣.

لبسُ الحائض والجنب ثيابَ الكعبة:

ترى عائشة– رضي الله عنها– أنه يجوز للحائض والجنب الانتفاع بثياب الكعبة كأنْ تلبسه، فعنْ شيبة بن عثمان قال: يا أمّ المؤمنين، إنّ ثياب الكعبة تجمع علينا فتكثر، فنعمدُ إلى آبار فنحفرها فنعمّقها، ثمّ ندفن ثيابَ الكعبة فيها كيلا يلبسها الجنّ والحائض، فقالت عائشة– رضي الله عنها–: «ما أحسنت، ولبئس ما صنعت، إنّ ثياب الكعبة إذا أنزعت منها لم يضرّها أنْ يلبسها الجنب والحائض، ولكنْ بعْها واجعل ثمنَها في المساكين، وفي سبيل الله»[1].

فعائشة– رضي الله عنها– لم تعتمدْ في هذه الفتوى على نصّ من الكتاب أو السنة، لكنّها تجتهد وتعمل عقلها، فترى أنّ استعمال الجنب والحائض لثياب الكعبة لا يضرّها، بل يظهر تكييفها الفقهي، حيثما ترشد شيبة بن عثمان إلى أنّه إذا لم يريدوا الانتفاع بها؛ فليبيعوها، وليتصدّقوا بثمنها، بدلًا من دفنها، فإنّ في دفنها ضياعًا للمنفعة بها.

الوضوءُ من حمل الميّت، والغسل من تغسيله:

ترى أمّ المؤمنين عائشة– رضي الله عنها– أنّه ليس على الرّجل أن يغتسل إذا غسَّل الميت أو أنْ يتوضأ إذا حمله، ولذا لمّا بلغها أنّ أبا هريرة– رضي

(١) أورده البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الحج، باب ما جاء في الكعبة وكسوتها، ج٥/ ١٥٩.

الله عنه- قال: مَن غسّل ميتًا اغتسل، ومَن حمله توضأ، فبلغ ذلك عائشة- رضي الله عنها-؛ قالت: «أو نجس موتى المسلمين، وما على رجل لو حمل عودًا»[1].

فهي تعمِل عقلها، وترى أنّ تغسيل الميت لا يوجب الغسل، ولا حمله يوجب الوضوء لأنّ المسلمين ليسوا أنجاسًا أحياءً أو أمواتًا، ولذا يظهر تكييفها الفقهي في قولها «وما على رجل لو حمل عودًا».

إنّ ما اشتهرت به أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- من ملكة فقهية خاصّة، وما عُرف عنها من دقّة استنباط الأحكام، مراعية في ذلك الواقع الذي يعيشه الناس، واستعمالها لعقلها، فيما يعرض عليها من مسائل فقهية، وعدم تحرجها في إبداء رأيها؛ تجعل المرءَ يقول: إنّ أمّ المؤمنين عائشة بمدرستها الفقهية وما تحمل من سماتٍ؛ لجديرةٌ بأنها كانت مجتهدة، بل إنّها بلغت درجة الاجتهاد المطلق.

معالمُ أخرى في المنهج الفقهي:

وهناك معالمُ أخرى في المنهج الفقهي للسيدة عائشة- رضي الله عنها- من ذلك:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في كتاب الجنائز، باب مَن غسّل ميتًا اغتسل وتوضأ، والبيهقي في السنن الكبرى، في كتاب الطهارة، باب الغسل مِن غسل الميت، ج١/ ٣٠٧، وله شاهد في المستدرك للحاكم، كتاب الطهارة، باب مَن غسل ميتًا فليغتسل، ج١/ ٣٨٦.

بين الافتراضاتِ وواقعيّة التفكير[1]:

إنّ من أهمّ السّمات التي تميّز النهج الفقهي لفقيه ما، هي كان هذا الفقيه يفترض مسائل فقهية ويقوم هو بالإجابةِ عنها، كما هو موجود في المذهب الحنفي، أم كان الفقيه لا يُعنَى إلّا بما ورد من وقائع حاصلة للناس، كمالك والشافعي.

إذا أردنا تطبيقَ هذا الكلام على السيدة عائشة- رضي الله عنها- وجدنا أنها كانت تميل إلى التفكير الواقعي، وتتجنّب الافتراضات الفقهية التي لا تمّت للواقع بصِلَة، وإنّ الناظر على ما في يدِه ونظرِه على أنّ مسألة من مسائل الفقه عندها، ليلحظ هذه السّمة المنهجية تبرز له لأوّل وهْلة، ولكثرة الأمثلة على ذلك، استغنينا عن التمثيل لها.

الرأيُ بين الخطأ والصواب:

كانت السيدة عائشة- رضي الله عنها- تجتهد في مسائل فقهية كثيرة، وكانت كثيرًا ما تخالفُ الصحابةَ في الرأي، ومع هذا فلم تكن أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- لتقطع بصواب رأيها، بل كانت تظنّ أنّ ما تقول هو الصواب، ودونه الخطأ دون درجة اليقين، بدليل أنها لم تتّهم أحدًا منهم

(١) استقيت هذه الفكرة من بعض محاضرات أستاذنا الدكتور البلتاجي في محاضرات أصول الفقه للسنة التمهيدية ١٩٩٦.

بالكذب، بل كانت ترى أنّ بعضهم كان ينسى، أو لم يبلغه ما بلغَها، أو رأتْ هي ما لم يره الصحابي، فإذا بدا لها خطؤها وصوابه؛ رجعت إلى الحقّ. ولعلّ في قصة خروجها لواقعة الجمل، وندمِها على ذلك خيرُ دليلٍ على أنّها لم تعتقد الصواب فيما تقوله، بل كانت تظنّه الصواب لما بدا لها من أدلّةٍ ودلالات توحي بصحّة الرأي.

ولا نقول: إنّ ما خالفت فيه أمّ المؤمنين عائشة الصحابة كانت صائبة فيه، بل هذا الاختلاف دليلٌ على مرونة الفقه الإسلامي، وهذه الآراء لا بدّ أن تبقى لأنّ الظروف تتغير، ولعلّ لكلّ فتوى الظروف المحيطة بها، وليأخذ المسلمون من الفتاوى ما يناسب عصرهم.

الرأيُ بين التّطبيق والإلزام:

ويترتّب على ما سبق، من أنّ السيدة عائشة- رضي الله عنها- كانت لا ترى رأيَها صوابًا، وما عداه خطأً؛ أنّها لم تكن تفرض على الصحابة رأيًا واجبَ التنفيذ الإلزام، بل كانت تجتهد ولا تلزم أحدًا بالعمل بما اجتهدت فيه.

ويمكن القول: إنّ أمّ المؤمنين عائشة كانت صاحبة مدرسة فقهية تميزت بسماتٍ خاصّة، أهمّها:

١- دقّة الاستنباط واستعمال العقل وعدم التحرج في إبداء الرأي.

٢- عدم الوقوف عند ظاهر النصوص في أغلب الأحيان، وتحري المصلحة وغايات الشريعة.

٣- نقد الحديث والنظر فيه، وعرضه على أصول الشريعة.

٤- الإكثار من الفتوى.



الخاتمة

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد؛

جاء البحثُ عن عائشة- رضي الله عنها- ليقدّم لنا نموذجًا فريدًا للمرأة المسلمة العالمة في صدر الإسلام، وإن كان يمكن أن تمثّل نموذجًا للمراة المسلمة على مرّ العصور، وقد تبيّن لي من خلال هذا البحث ما يلي:

تلقّت عائشة- رضي الله عنها- بداياتِ علمها في بيت أبيها أبي بكر- رضي الله عنه- الذي كان ملازمًا للرسول ﷺ، ولم يمنعها ذلك من التلقّي المباشر من الرسول ﷺ أحيانًا، وإن كان الغالب أنها لم تتلقّ العلمَ من الرسول ﷺ مباشرة إلّا بعد الزواج.

ولم يقفْ علمُ عائشة- رضي الله عنها- على العلم الشرعي، بل ضربت بهمٍّ وافرٍ في العلوم الأخرى كالطب والشعر، وأمثال العرب، والأنساب.

أثبت البحثُ أنّ عائشة- رضي الله عنها- كانت صاحبة منهج في التفسير تمثّل في:

تفسير القرآن بالسنة النبوية فقد كانت تسأل الرسول ﷺ عن تفسر الآية، أو تسأل هي فتفسّر مُستشهدة بحديث، أو تروي حديثًا. وكانت القراءات

إحدى السّمات المنهجية التي اعتمدتها، بل كانت تصحيح لغيرها تفسيرهم مستشهدة بالقراءات، واستخدمت السيدة عائشة النسخ في تفسيرها، كما كانت تجتهد في تفسير بعض الآيات فيما لم يرد فيه نص مفسِّر، وكانت تفسر بظاهر النص دون تأويل وترفض الحديث عن المحكم والمتشابه، كما خلا تفسيرها من الإسرائيليات.

وأثبت البحثُ منهجها في الحديث، أمّا ما يتعلّق بالسند فأهمّه التلقي المباشر، والأمانة في النقل والضبط، والرواية عن الثقة واختيارها للراوي للتثبت.

أمّا أهمّ السمات المنهجية من حيث المتن فتمثل في العرض على القرآن وعلى ما ثبت عندها من أحاديث روتها عن النبيﷺ، والعرض على العقل، والعمل بما روتْ إذ لم ينقل عنها العمل بخلافه. كما روت بعضَ الأحاديث التي رواها الصحابة بسبب الوهم أو الغفلة عن سبب الورود أو النسيان.

وأثبت البحثُ منهجها الفقهي المتمثّل فيما يلي:

استشهادها القرآن الكريم، وبين نهجها بالنسبة للقرآن ي الفتوى، ثمّ الأخذ بالسنة النبوية، وبيان موقفها منها، واعتماد القياس والاجتهاد. وأوضح أنّ عائشة– رضي الله عنها– كانت لا تفترض مسائل فقهية، بل كان تفكيرها واقعيًّا، وأنها لم تكنْ تقطع بصواب رأيها، ولم تكن تُلزم به أحدًا، كما كانت تراعي المصلحة مع النصوص، واعتبارها سدّ الذرائع.

كما أوضح البحثُ أنّ عائشة كانت صاحبة مدرسة فقهية تميّزت بدقّة الاستنباط، واستعمال العقل وعدم التحرج من إبداء الرأي، كما عُرف عنها عدم الوقوف عند ظاهر النصوص، وتحرّي المصلحة وغيابات الشريعة، كما تميّزت بنقد الحديث والعرض على الأصول العامة للشريعة، ما وعرف عنها الإكثار من الفتوى.

كما أوضح البحثُ موقفَ عائشة من الأصول، وأنها كانت تستخدم أصول الفقه، كاستخدامها للعموم والخصوص والقياس، والمصلحة وسدّ الذرائع. واجتهادها، وبلغت درجة الاجتهاد المطلق.

هذا ما توصّلتُ إليه من نتائج في هذا البحث، وإن أتى في عجالة سريعة، فقد كشف اللّثام عن جانبٍ مهمّ من حياة عائشة العلمية. وأظنّ أنّ علم عائشة يحتاج إلى مزيدٍ من الدراسات التي تكشف عن مزيدٍ من علمها، ولا سيّما الخطة المنهجية التي كانت تسير عليها.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين.

مسعود صبري إبراهيم



أهمّ المصادر والمراجع

١. الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان، ترتيب علاء الدين علي بن بلبان الفارسي- الطبعة الأولى- ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م.

٢. الأدب المفرد للبخاري محمد بن إسماعيل- تحقيق كمال يوسف- دار عالم الكتب- الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

٣. أسباب النزول للواحدي- تحقيق السيد أحمد صقر- الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر.

٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير.

٦. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني- المطبعة الشرقية- ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م.

٧. أعلام النساء في عالم الغرب والإسلام، لعمر رضا كحاله. نساء فاضلات لعبد البديع صقر.

٨. البداية والنهاية.

٩. تاريخ الإسلام، للذهبي.

١٠. تاريخ الطبري محمد بن جرير- تحقيق محمد أو الفضل إبراهيم- دار المعارف- ١٩٦٣م.

١١. التاريخ الكبير البخاري- محمد بن إسماعيل-، طبعة الهند ١٣٦٢هـ.

١٢. تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، للمزي (يوسف بن الزكي)، تصحيح وتعليق عبد الصمد شرف الدين، نشر الدار القيمة، بومباي، الهند.

١٣. تذكرة الحفاظ للذهبي (شمس الدين)- دار إحياء التراث العربي- بيروت.

١٤. تفسير ابن كثير.

١٥. تفسير الطبري، (الطبري محمد بن جرير)، تحقيق محمد محمود شاكر- دار المعارف- مصر.

١٦. تهذي الكمال، للمزني.

١٧. تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، وطبعة طبع حيدر آباد، الهند.

١٨. الجامع الصغير، طبع دار القلم للتراث، بيروت.

١٩. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م، و ط- ١٣٨٧هـ= ١٩٦٧م.

٢٠. حلية الأولياء، لأبي نعيم.

٢١. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي جلال الدين، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١/ ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

٢٢. روح المعاني والسبع المثاني، للألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٢٣. الزهد، للإمام أحمد، طبع دار النهضة، بيروت.

٢٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، بالإردن، ط٢/ ١٤٠٦هـ.

٢٥. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

٢٦. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، دار الحديث، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

٢٧. سنن الدارقطني، علي بن عمر، تحقيق السيد عبد الله، دار المحاسن للطباعة، ١٣٨١هـ = ١٩٦٦م.

٢٨. سنن الدارمي، عبد الله بن عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٩. سنن النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ١٣٤٨هـ = ١٩٨٦م.

٣٠. سنن سعيد بن منصور، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١/ ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٣١. سير أعلام النبلاء، للذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان.

٣٢. السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، بدون تاريخ.

٣٣. شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، لابن العماد الحنبلي.

٣٤. صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢/ ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.

٣٥. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق محمد مصطفى غريب، دار ابن كثير، ط٣/ ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

٣٦. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

٣٧. صحيح مسلم بشرح النووي، (الإمام النووي)، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

٣٨. الطبقات الكبرى، لابن سعد، طبع دار صادر، بيروت، ١٣٧٧/٥

٣٩. عين الإصابة في استدراك عائشة على الصحابة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار العلم، القاهرة.

٤٠ . فتح الباري لشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محي الدين، وغيره، المكتبة السلفية، ط٣/ ١٤٠٧هـ.

٤١ . كتاب السنن الكبرى، للبيهقي، (أحمد بن الحسين)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٤٢ . كتاب معرفة الصحابة.

٤٣ . كنز العمال، علاء الدين الهندي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.

٤٤ . اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث.

٤٥ . لسان العرب، لابن منظور.

٤٦ . مجمع الزوائد ومنع الفوائد، للهيثمي، علي بن أبي بكر، دار الريان للتراث، القاهرة ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

٤٧ . المحلى، لابن حزم.

٤٨ . المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٤٩ . مسند أبي عوانة، (يعقوب بن اسحاق)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٥٠. مسند أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بدون تاريخ.

٥١. المصنف، ابن أبي شيبة، تحقيق عمر بن غرارة العمري، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع.

٥٢. المصنف، لعبد الرزاق بن همام، تحقيق حبي الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، بدون بيانات.

٥٣. المعجم الصغير، للطبراني، سليمان بن أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

٥٤. المعجم الكبير، للطبراني، سليمان بن أحمد، تحقيق حمدي عبد المجيد، ط٢، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م.

٥٥. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية.

٥٦. معجم مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني.

٥٧. منهج عمر بن الخطاب في التشريع، د/ محمد بلتاجي، دار الفكر العربي، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م.

٥٨. منهج عمر بن الخطاب في التشريع، لأستاذنا الدكتور محمد بلتاجي، دار الفكر العربي، طبعة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م.

٥٩. الموطأ.

٦٠. الموطأ، الإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، ١٤٠٣هـ = ١٩٩٣م.

٦١. نساء لهنّ في التاريخ الإسلامي نصيب، دكتور إبراهيم حسن، تراجم سيدات بيت النبوة، د.عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ.

٦٢. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير.



الفهرس



السّيرةُ العلميةُ مختصَرة

د.مسعود صبري إبراهيم

هاتف: ٠٠٩٦٥٥٠١٥٥٤٢٢/

بريد إلكتروني: masoud.sabry@gmail.com

الوظيفة:

١- أستاذ مشارك الفقه وأصوله.

٢- باحث بالموسوعة الفقهية الكويتية.

٣- محاضر بكلية الشريعة جامعة الكويت.

الإنتاجُ العلمي:

١- جهود الشيخ محمد الغزالي في الحديث والفقه، (ماجستير).

٢- المستجدّات الفقهية لدار الإفتاء المصرية، (دكتوراه).

٣- عدد من البحوث المحكّمة، مثل: «معايير النازلة وأثرها في الاجتهاد»، و«حجّية الاستحسان عند الإمام مالك»، و«موت الدّماغ في

الفقه الإسلامية»، و«أصول المقاصد في فقه الإمام أحمد»، و«التجربة في الفقه الإسلامي»، و«الإشكالات المعاصرة في حديث إخراج المشركين من جزيرة العرب»، و«تجديد الخطاب الفقهي»، و«الوسطية الفقهية»، و«منهجية الإفتاء عند الشيخ ابن العثيمين»، و«وقف المال العام.. رؤية فقهية»، و«معايير فهْم السنة عند الشيخ الغزالي»، و«آراء الشيخ الغزالي في السياسة الشرعية».

٤- عددٌ من الكتب، مثل: «منهج الشيخ القرضاوي في الإفتاء»، و«فتاوى علماء الأمّة في القضايا المعاصرة»، و«أثر السياسة في فتاوى دار الإفتاء المصرية»، و«تجديد خطاب الفقه وأصوله»، و«الغلوّ في الدين والحياة»، و«بداية القاصد إلى علم المقاصد»، و«الورقات الأصولية»، و«أصول الإفتاء.. قديماً وحديثًا».

٥- عددٌ من بحوث المؤتمرات: «خطف الصحافيّين»، و«فتاوى الترابي»، و«التعويضات في الحوادث»، و«حاخامات إسرائيل.. مدنيّون أم عسكريّون؟»، وعددٌ من البحوث والكتب غير منشورة.

٦- المشاركة في بعض الموسوعات، مثل: «موسوعة دائرة المعارف الإسلامية- سفير مصر»، و«معلمة القواعد الفقهية»، و«مراجعة الموسوعة الفقهية الكويتية»، و«الموسوعة الأصولية الكويتية»، و«موسوعة الردّ على

شبهات ١١ سبتمبر، مركز الدراسات السياسة جامعة القاهرة»، و«موسوعة النوازل الفقهية».

٧- العديدُ من الفتاوى والمقالات والمستشارات بعددٍ من المجلات والجرائد ومواقع الإنترنت



دار البشير للثقافة والعلوم

منهج أم المؤمنين عائشة في علوم الشريعة

إنّ نصيب المرأة في العلم الشرعي نصيب ملحوظ، وإنّ هناك نساء برزن في هذا المجال، فحزن السبق فيه، فكان لزاما كشف اللثام عن بعض ذلك.

وحين البحث والتنقيب في تراجم النساء نجد عددًا كبيرًا من النساء عُرف عنهنّ إسهامهنّ في العلم الشرعي من الحديث والتفسير والفقه.

وقد راعى الانتباه أنّ السيد عائشة- رضي الله عنها- جمعت هذه العلوم كلّها- وقلّ أن نجد امرأة تجمع هذه العلوم. ولقد تمتّعت به السيدة عائشة- رضي الله عنها- من عقلية ندر أن نجد في النساء مثلها، وإن لم نعدمها.

وكان اختيار المؤلف للسيدة عائشة موضوعا للكتاب؛ لما يلي:

١- أنّ غالب ما كتب عن السيدة عائشة يمثّل اتجاه دراسة المفردات والمسائل الجزئية، لا بيان المنهج وطريقة الاجتهاد والتعامل مع النصوص.

٢- تمثّل عائشة- رضي الله عنها- صورة مثالية للمرأة في صدر الإسلام.

٣- محاولة كشف اللثام عن منهجها في الحديث والتفسير والفقه والأصول.















